# وقفات
# مع شهر الصيام

**تأليف وإعداد**

د. سليمان بن عبدالله بن حمود أبا الخيل

**وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**

**وأستاذ الفقه المقارن المشارك في المعهد العالي للقضاء**

**الطبعة الأولى**

**١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م**

# المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فلقد بعث الله نبيه محمداً ρ بالهدى ودين الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويحقق عبوديتهم لربهم، فيخلصوا العبادة له وحده، ويطلبوا ثوابه في أمور دينهم ودنياهم، وقد شرع لهم شرائع متعدد ومتنوعة، ومتفاوته في زمانها ومكانها وكيفيتها، وذلك من أجل التيسير عليهم، وترغيبهم في القيام بها، وليتهيأوا لأدائها على وفق ما أمروا به، وهذه الشرائع منها ما لا يتم إسلام المرء إلا بها وهي أركان الإسلام، الذي يعتبر الصيام أحدها .

وقد أوجب الله صيام رمضان في كتابه وعلى لسان رسوله ρ قال تعالى:( يا أيها آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)، وقال ρ :"بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا " .

وكان فرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة، وقد توفي رسول الله ρ وقد صام تسعة رمضانات .

وبناءً على ذلك اعتنى علماء الإسلام عناية فائقة،

واهتموا إهتماماً بالغاً ببيان جميع ما يتعلق بالصيام واجباً كان أو تطوعاً، من أحكام ومسائل وما يلحق به من طاعات، على وفقها يتمكن المسلم أن يؤدي هذه الشعيرة على هديً وبصيرة، دون زيادة أو نقص أو شك.

والصيام كما أنه واجب على كل مسلم بالغ عاقل، فإنه له خصوصية على سائر العبادات، لأنه سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه ولا يعرفه أحد سواه، إضافة إلى الفوائد العظيمة والمميزات الكبيرةالحسية والمعنوية التي يثمرها الصيام على العبد المؤمن، ويستفيد منها في قوة صلته بربه، وزيادة حسناته وتضاعف ثوابه، وصحة وعافية في بدنه، وصفاءٍ ونقاءٍ يعود على فكره وعقله .

قال ابن القيم -رحمه الله-: وهو سر بين العبد وربه لايطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، أما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لايطلع عليه بشر، وللصوم تأثير عظيم في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى إذ

فيه حبس للنفس عن الشهوات، وفطامها من المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقول ماتزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وثورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها مع حكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، وليسكن كل عضو فيها وكل قوة عن جماحه، ويتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من سائر الأعمال، فإن الصائم لايفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته.

ولما كانت مصالح الصوم مشهودة بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده، رحمة بهم وإحساناً إليهم، وحمية لهم وجنة، وكان هدي رسول الله ρ فيه أكمل الهدي، وأعظم تحصيلاً للمقصود، وأسهله على النفوس.

وبتوفيق من الله العلي القدير طلب مني وذلك عبر (إذاعة القرآن الكريم) في المملكة العربية السعودية إعداد وتقديم ثلاثين حلقة عن الصيام وما يتعلق به من توجيهات وعبادات وأحكام بعنوان (نفحات رمضانية)

عام ١٤٢٣هـ، وقد عملت على تهيئة ما طلب بأسلوب علمي يتناسب مع جميع فئات المجتمع، معتمداً في إعدادها وجمعها على كتاب الله وسنة رسوله ρ وأقوال أهل العلم، وبعد إذاعتها، تلقيت من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء ـحفظه الله- ثناءً على ما سمعه منها، وشاورته في جمعها في مؤلف واحد فأيد ذلك، كما وصلني الإشادة بها من عدد من العلماء والمشائخ وطلاب العلم، والمتابعين لهذه الإذاعة المباركة فكان ذلك دافعاً قوياً، لِلَمِ شتاتها وتصنيفها وترتيبها وتنقيحها وإضافة ما تدعوا الحاجة إليه عليها، لتخرج بصورة أشمل وأكمل وأتم، وإخراجها في كتاب حتى يعم نفعها، وتصل إلى أكبر عدد من مبتغيها، وقد رأيت أن أسمي هذا المؤلف بـ(وقفات مع شهر الصيام)

.

ولا شك أن ما أضعه بين يدي القارئ الكريم هو جهد مقلِ قام به إنسان مجتهد ينشد النفع والخير للجميع، فإن كان صواباً فمن الله وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وأسأل الله العفو والمغفرة ولا أستغني عن إبداء الملاحظات، وتقديم المقترحات، وتسديد النقص والخلل إن وجد، من كل محب ومحق،فالمسلم قليل بنفسه كثير بإخوانه، وخيرنا من غفر قليل الزلل

**والخطأ بكثير الصواب، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .**

**كتبه**

**سليمان بن عبدالله أبا الخيل**

الرياض ١٤٢٤/١١/٦هـ

# حكم الصيام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين – أما بعد:

فان الله تعالى يقول في محكم التنزيل ↓ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون، شهر رمضان الذين أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون ↑ {سورة البقرة، ١٨٣-١٨٥}.

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمات يبين شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، ألا وهي الصيام الذي فرضه الله على هذه الأمة في السنة الثانية من الهجرة، فصام رسول الله ρ تسع رمضانات.

والصيام أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، بل هو الركن الرابع من أركانه، ولحكم عظيمة وأهداف سامية وغايات نبيلة أوجب الله الصيام على كل مكلف من أمة محمد ρ، كما أوجبه سبحانه وتعالى على الأمم السابقة لنا، وقد أشارت الآيات الآنفة الذكر إلى ذلك.

تعريف الصيام:

والصوم في اللغة مجرد الإمساك، فكل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم، قال الشاعر:

خيل صيـــام وخيـــل غير صائمة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أي: خيل ثابتة ممسكة عن الجري والحركة.

وأما الصيام لدى علماء الشريعة فهو: التعبد لله بالإمساك عن الأكل والشرب، وسائر المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

الدروس المستفادة من الصيام:

إن المتأمل في حكمة تشريع الصيام وكيفية أدائه ومبتداه ومنتهاه والناظر في حال الصائمين وقت الصيام ليستخلص من ذلك كله دروسا كثيرة وعبراً جمة وفيرة لا يمكن حصرها، ونحن في هذا المقام نذكر أبرزها:

أولاً: الصيام دلالة على تقوى الله، وحسبك بذلك فخراً وعـــزاً، قال تعالى:↓ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ↑ {سورة البقرة،١٨٣}.

فالصيام دليل على تقوى العبد لله وخوفه منه وطمعه فيما عنده، وذلك بقيامه بما يجب عليه مما يقيه عذاب الله.

وثانياً : حصول الأجر العظيم، والثواب المتضاعف للصائمين، فالله سبحانه يكافئ الصائم بإبعاد وجهه عن النار سبعين خريفا بكل يوم صامه تقربا إليه، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ρ أنه قال: (ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا) متفق عليه.

ثالثاً : أن صيام رمضان مكفر للذنوب مذهب للخطايا فقد روي أبو هريرة τ أن رسول الله ρ قال: (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه.

وعن أبي هريرة τ أيضاً قال: قال رسول الله ρ (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) أخرجه مسلم، وسيأتي الكلام على هذا الحديث إن

**شاء الله.**

**رابعاً : أن في الصيام حفزاً للهمم على عبادة الله تعالى، فإقبال الصائم على الطاعات وترك المعاصي أكثر من غيره، لذا نلاحظ الناس في رمضان يحرصون على تلاوة القرآن وتدبره، وذكر الله، والصدقات، وإعانة المحتاجين وبذل الندى، وكف الأذى، والتعاون على البر والتقوى، ويحافظون على أداء النوافل فضلا عن الفرائض مع الجماعة، وهذا مالا يشاهد في غير رمضان، وذلك لأن الصيام يقوي حبهم ورغبتهم في الطاعة، وتوجههم إلى العبادة أكثر من أي وقت آخر، وان كان الواجب على المسلم أن يحافظ على أوامر الله واجتناب نواهيه في كل وقت؛ لأن رب رمضان وسائر الشهور واحد، وقد قال أحد السلف: بئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان.**

**لكن رمضان تضاعف فيه العبادة والاجتهاد في الأعمال الصالحة أكثر من غيره؛ لأن الجهد والعمل والالتزام بها ينتهي بنهايته.**

**خامساً: أن في الصيام ترقيقاً للقلوب، فيفطن أكثر الناس لما غفلوا عنه وقت الفطر من أخونهم الفقراء والمحتاجين، فإذا جاع المرء في يوم صومه تذكر الذين يجوعون أياما وأسابيع، وأكثر من ذلك، وربما**

ماتوا جوعا، فيكون ذلك حافزا له على الصدقة عليهم، وتذكر أحوالهم، وتلمس مواطن الفاقة فيهم، وإعانتهم بالبذل والعطاء.

سادساً: أن في الصيام تهذيباً للنفوس وتعويداً لها على النظام، فالمرء في سائر الأيام التي يفطر فيها يأكل ما شاء ويشرب ما أراد، لكن هذا يختلف في وقت الصيام، إذ الأكل والشرب وسائر المباحات للصائم لها بداية ونهاية، فإذا دخل الفجر حرم على الصائم الأكل ونحوه، وإذا غربت الشمس حل له ما كان حراما عليه وقت الصيام، وهذا تعويد له على الانضباط والنظام والالتزام التي يستفيد منها في أمور دينه ودنياه، وتحقق له السعادة في الدارين.

سابعاً: أن في الصيام تعويداً للنفس على الصبر، فالمرء في صيامه يجوع ويعطش وخصوصاً في الأيام الحارة والطويلة، وربما أرهقه الصيام وبلغ به الجهد، ومع ذلك يظل صابرا محتسبا يتحمل العطش والجوع، ولا تساوره رغبة بالافطار أبدا مهما تعب وأجهد، وإنما سبيله الوحيد إلى وصوله إلى مرضاة ربه، وأداء عبادته الصبر إلى أن يحين وقت الإفطار، وإذا تعود الصبر هنا ألفه في سائر الأعمال، والأحوال الخاصة والعامة الدينية والدنيوية.

ثامناً: أن في الصيام إراحة للمعدة من الأكل

والشرب طيلة فترة الصيام، وهذا فيه ميزة طبية مهمة، فالمعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، والأطباء ينصحون بعض المرضى بالصيام؛ لأنه علاج لبعض الأمراض، كما أن الصوم فرصة للمدخنين لترك التدخين والإقلاع عنه نهائيا، وذلك أنه استطاع أن يصبر عنه طيلة النهار فمع توفيق الله ثم العزم والتصميم والحرص سيتمكن المدخن من ترك التدخين بإذن الله تعالى.

قال ابن القيم ـرحمه اللهـ وأما مرض الأبدان فقال تعالى: ﴿ ليس على الأعمى حرج، ولا على الأعرج حرج، ولا على المريض حرج﴾ { النور:٦١، الفتح: ١٧}.

وذكر مرض البدن في الحج والصوم والوضوء؛ لسر بديع يبين لك عظمة القرآن، والاستغناء به ـلمن فهمه وعقلهـ عما سواه.

وذلك: أن قواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظ الصحة، والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة، فذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة، فقال في آية الصوم: ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾{ البقرة: ١٨٤}.

فأباح الفطر للمريض لعذر المرض، وللمسافر طلباً لحفظ صحته وقوته، لئلا يذهبها الصوم في

السفر، لاجتماع شدة الحركة وما يوجبه الصوم من التحلل، وعدم الغذاء الذي يخلف ما تحلل، فتخور القوة وتضعف. فأباح للمسافر الفطر حفظا لصحته وقوته عما يضعفها.

وقال في آية الحج: ↓ فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أوصدقة أونسك↑ { البقرة: ١٩٦}. فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قمل أوحكة أوغيرهما؛ أن يحلق رأسه في الإحرام؛ استفراغاً لمادة الأبخرة الرديئة، التي أوجبت له الأذى في رأسه باحتقانها تحت الشعر، فإذا حلق رأسه تفتحت المسام، فخرجت تلك الأبخرة منها، فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذيه انحباسه.

والأشياء التي يؤذي انحباسها ومدافعتها عشرة: الدم إذا هاج، والمني إذا اجتمع، والبول، والغائط، والريح، والقيء، والعطاس، والنوم، والجوع، والعطش.

وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الأدواء بحسبه.

وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها –وهو البخار المحتقن في الرأس- على استفراغ ماهو أصعب منه، كما هي طريقة القرآن: التنبيه بالأدنى على الأعلى.

وأما الحمية: فقال تعالى في آية الوضوء: ↓ وإن

كنتم مرضى أوعلى سفر، أوجاء أحد منكم من الغائظ، أولامستم النساء، فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ↑{ المائدة: ٦}. فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب؛ حمية له أن يصيب جسده مايؤذيه، وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل أوخارج، فقد أرشد سبحانه عباده إلى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده.

تاسعاً: شعور الصائم بالعدالة والمساواة بينه وبين غيره من المسلمين على مختلف طبقاتهم وأجناسهم؛ الغني والفقير والكبير والصغير الذكر والأنثى؛ لأنهم يصومون في وقت واحد ويفطرون في وقت واحد، وهذا يحقق مبدأ المساواة بين المسلمين بعضهم مع بعض.

عاشراً: مايحصل في الصيام من تهذيب للأخلاق وتقويم لها، إذ الصائم مطالب بحفظ لسانه وسائر جوارحه من اللغو والسب فالصائم لا يقتصر على الامتناع عن الأكل والشرب والجماع ونحو ذلك، وإنما يجب عليه أن يحفظ صيامه عن الجهل والشتائم وما لا يليق من الكلام، وأن يقابل السيئة بالحسنة اتباعاً لقول الرسول ρ (الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم) الحديث متفق عليه.

ومعنى جنة: وقاية ومانع وساتر من النار.

الحادي عشر: الصيام تدريب وتمرين للمرء المسلم على تحمل المسئولية، وهو مظهر من مظاهر الأمانة، فالمرء يتحمل مسئولية صيامه أمام الله سبحانه وتعالى وهو مسئول عن ذلك، مؤتمن عليه فأنت ترى الصائمين قبيل المغرب وقد دب إلى أجسامهم الضعف والإجهاد من أثر الصيام، ومع ذلك فهم متحملون لهذا التعب، محافظون على صيامهم، فهو أمانة بينهم وبين ربهم، فباستطاعتهم الأكل أو الشرب دون أن يراهم أحد، لكنهم علموا أن ربهم مطلع على سرهم ونجواهم فحافظوا على ذلك ابتغاء مرضاته، فالصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهره إلا له، لذلك صار مختصا به، قال ρ: قال الله Y:(كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به.. الحديث) متفق عليه.

وإذا كان المسلم أمينا على صيامه متحملا لذلك لزمه أن يتحمل الأمانة في سائر الأحوال من العبادات والمعاملات، والأمانة والأمنة: نقيض الخيانة؛ لانه يؤمن من اذاه، ومؤتمن القوم: الذي يثقون إليه ويتخذونه أميناً حافظاً، وذلك لما يتميز به من ديانة وصدق وإخلاص، وتفان فيما يوكل إليه من المهام والأعمال دقيقة كانت أو جليلة، وبعد عن المخادعة

والمراوغة والتحايل، فأقواله وأفعاله تتطابقان، يصدق كل منهما الآخر، لايقول إلا مايفعل، ولايفعل إلا مايوافق ما ائتمن عليه، باطنه كظاهره، وسره كعلانيته، لايقابل هؤلاء بحال ووجه وفكر وكلام غير التي يقابل بها أولئك، يمقت ما يمقت، وينصح ولايفضح، ولايهمز ولايلمز؛ لأنه سيحاسب على هذه الأمانة وسيُسأل عنها في العاجلة والآخرة، وحينئذ لاينفع الندم، ولاتجدي التمنيات.

وقد عظم الله سبحانه شأن الأمانة في قوله:

↓ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا↑{الأحزاب: ٧٢}، وأمر بأدماء الأمانات والقيام بها على أحسن حال، فقال: ↓إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها↑ {النساء: ٥٨}، بل إنه سبحانه أضاف إلى ذلك الحث والأمر، والتخويف والتحذير من التساهل فيها وخيانتها في قوله: ↓ فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه↑ {البقرة: ١٨٣}، وقوله: ↓ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ↑ {الأنفال: ٢٧}.

بل إن الرسول ρ جعل خيانة الأمانة من علامات

النفاق فقال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا أئتمن خان)، وفي رواية: (أربع)، وزاد: (وإذا خاصم فجر)، وليعلم أيضاً أن خيانة الأمانة غدر، وعدم وفاء بعقد ولاعهد، وقد حذر الرسول ρ من الغدر، وبين أن له عقاباً أخروياً شديداً، في أحاديث صحاح متعددة، نذكر منها قوله عليه الصلاة والسلام: (قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصيمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره).

الثاني عشر: ما يتحقق بالصيام من الإخاء والإيثار بين المسلمين بعضهم مع بعض، وزيادة ترابطهم وتواصلهم مع بعضهم تحقيقا لقوله ρ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

الثالث عشر: الصيام فيه تضييق على الشيطان؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر الرسول ρ بذلك، فبالصيام يُضَيّق عليه.

الرابع عشر: مايتذكره الصائم من نعمة الله عليه بالإفطار، فكيف يكون حال المرء لو أن الله ألزمه بالصيام طيلة حياته، مثل ما يعرف المريض قيمة الصحة، فلولا الصيام لما عرف الناس قيمة الفطر.

***

## الكرامات التي أعدها الله للصائمين

صيام شهر رمضان واجب على كل مسلم مكلف قادر، وهو أحد أركان الإسلام التي لا يستقيم إسلام المرء بدونه، لذلك صدر الوعيد منه ρ لمن أفطر يوما في نهار رمضان من غير رخصة رخصها الله له، وأخبر أنه لايقضى عنه ذلك اليوم صيام الدهر كله وإن صامه، وما ذاك إلا لمكانة الصوم السامية، ومنزلته الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى؛ إزاء هذا كانت مرتبة الصائمين عالية وأجرهم عظيماً، وجعل الله لهم كرامات كثيرة، وميزات متعددة نظير صيامهم، وصبرهم على ذلك، واحتسابهم الأجر عند الله سبحانه وتعالى، فقد حبسوا أنفسهم عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات طيلة الأيام التي صاموها راجين الأجر من الواحد الأحد، ملتمسين غفران الذنوب ومحو السيئات ورفع الدرجات.

ولقد خص الله سبحانه وتعالى الصائمين بكرامات كثيرة تميزوا بها عن غيرهم منها:

١- أن أجر الصيام لا حدود له، ولا يعلم أحد قدره إلا الله سبحانه وتعالى، وهذه ميزة للصوم على سائر الأعمال فعن أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال: (قال الله Y:(كل عمل ابن

آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به..) الحديث، متفق عليه.
وفي رواية لمسلم: كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به...) الحديث.

٢- ومن كرامات الصائمين ، أن الصيام يشفع للصائمين يوم القيامة عند الله سبحانه وتعالى في وقت أحوج ما يكون المرء فيه إلى من يشفع له عند الله، في ذلك اليوم العظيم الشديد العصيب، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- أن النبي ρ قال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان) أخرجه الأمام أحمد.

٣- أن الله ميز الصائمين عن غيرهم فجعل في الجنة بابا يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون، وهذه كرامة اختص بها الصائمون لا يشاركهم فيها أحد فعن سهل بن سعد τ عن النبي ρ قال: (إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم

القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال : أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) متفق عليه.

٤- أن الصائم يلاقي في صيامه مشاق كثيرة، فربما عطش أوجاع أو أرهقه الصوم، ومع ذلك فهو متحمل للمشقة رجاء ما ينتظره من الأجر العظيم والحسنات المضاعفة، لذلك كافأه الله بأن يباعد النار عن وجهه سبعين خريفا، فعن أبي سعيد الخدري τ قال: قال رسول الله ρ (مامن عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا) متفق عليه.

٥- ومعلوم أن فم الصائم تنبعث منه روائح كريهة نتيجة خلو المعدة من الأكل والشراب، وقد يتضايق بعض الناس منها، لذا بين الرسول ρ أن هذه الروائح الناتجة عن الصيام هي أطيب عند الله من ريح المسك، وهذه كرامة أخرى من كرامات الصائمين فقد قال ρ: (والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك..)

الحديث متفق عليه.

٦- إن كل إنسان يؤدي عملا من الأعمال يبتغي به وجه الله فإنه يفرح بتأديته لذلك العمل، ولكن الصائم يفرح فرحتين كما أخبر الصادق المصدوق ρ بذلك حيث قال:( للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه) .

٧- ومن الكرامات التي يختص بها الصائم: أن الملائكة تصلي عليه مادام الناس يأكلون عنده، فعن أم عمارة الأنصارية -رضي الله عنها- أن النبي ρ دخل عليها فقدمت إليه طعاما فقال: (كلي) فقالت: أنى صائمة فقال رسول الله ρ: (إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا وربما قال حتى يشبعوا) أخرجه الترمذي وقال (حديث حسن).

وهذا ظاهر في صيام التطوع، حيث إن الإنسان يختلط كثيرا بأناس مفطرين، ويراهم وهم يأكلون ويشربون، وربما غالبه الجوع والظمأ، ومع ذلك يجلس معهم ويخالطهم وهو صابر محتسب الأجر عند الله.

٨- أن صيام شهر رمضان وحده سبب لمغفرة

الذنوب، فعن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه.

٩- أن رمضان شهر البركات تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين، فهو موسم للعبادة لا يقارن بغيره، فينبغي لكل مسلم استثماره الاستثمار الأحسن والأكمل، فعن أبي هريرة τ أن رسول اللهρ قال: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين) متفق عليه.

١٠- أن في هذا الشهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، قال الله تعالى : :↓ إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ↑ وقد كان النبي ρ يجتهد في طلبها في العشر الأواخر من رمضان، فعلى المسلم أن يحرص على طلبها في العشر الأواخر، لاسيما أوتارها عسى أن يوافقها فينال الأجر العظيم،فهي خير من عمل تزيد سنواته عن ثلاث وثمانين سنة.

١١- أن كرامات الصائمين لا تقتصر على الصائم

**وحده، وإنما تمتد إلى كل من ساهم في تفطير أي صائم، وهذه من بركات الصيام، وإنعام الله على الصائمين، ومن يمد يده لعونهم، فعن زيد بن خالد الجهنيτ عن النبيρ قال:( من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيءْ) أخرجه الترمذي وقال (حديث حسن صحيح).**

**هذه جملة من الكرامات التي امتاز بها الصائمون عن غيرهم، وانفرد بها الصيام عما سواه من الطاعات والأعمال الصالحات، فحري بكل مسلم أن يحافظ على صيامه فرضاً كان أو تطوعاً ، وأن يبتعد عما يخدش هذا الصيام أو ينقص أجره من السب والفحش، ليأتي صومه تاماً كاملاً فيحصل على مطلوبه، ويتحقق له مرغوبه، ويسعد بعمله في دنياه وآخرته.**

***

## الصيام حقيقته وحكمه وفوائده

لقد كتب الله سبحانه علينا صيام شهر رمضان فقال في كتابه ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾{سورة البقرة، ١٨٣}.

والصيام له منزلة خاصة عند الله -I-، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة τ أنه قال: قال رسول الله ρ: (كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى:إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، والصوم جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب، فإن سابه أحد أوقاتله، فليقل: إني امرؤ صائم).

يقول العلامة ابن سعدي- رحمه الله-: وهذا حديث عظيم، فإنه ذكر فيه الأعمال عموماً، ثم الصيام خصوصاً، وذكر فضله وخواصه، وثوابه العاجل والآجل، وبيان حكمته، والمقصود منه، وماينبغي فيه من الآداب الفاضلة.

فبين هذا الأصل الجامع: أن جميع الأعمال الصالحة

من أقوال وأفعال، ظاهرة أوباطنة، سواء تعلقت بحق الله تعالى، أوبحقوق العباد، مضاعفة من عشر إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

وهذا مما يدل دلالة قاطعة على سعة فضل الله، وإحسانه إلى عباده المؤمنين، إذ جعل جناياتهم ومخالفتهم الواحدة بجزاء واحد، ومغفرة الله تعالى فوق ذلك.

وأما الحسنة: فأقل التضعيف أن الواحدة بعشر، وقد تزيد على ذلك بأسباب:

منها: قوة إيمان العامل، وكمال إخلاصه، فكلما قوي الإيمان والإخلاص تضاعف ثواب العمل.

ومنها: أن يكون للعلم موقع كبير،، كالفقه في الجهاد والعلم، والمشاريع الدينية العامة، وكالعمل الذي قوي بحسنه وقوته ودفعه المعارضات، وغيرها من الأعمال.

وكالمضاعفة لفضل الزمان أوالمكان، أو العامل عند الله، فهذه المضاعفات كلها شاملة لكل عمل.

واستثني في هذا الحديث الصيام، وأضافه إليه، وأنه الذي يجزي به بمحض فضله وكرمه، من غير مقابلة للعمل بالتضعيف المذكور كالذي تشترك فيه الأعمال، وهذا شيء لايمكن التعبير عنه، بل يجازيهم بما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب

بشر.

وفي الحديث التنبيه على حكمة هذا التخصيص وأن الصائم لما ترك محبوبات النفس التي طبعت على محبتها، وتقديمها على غيرها، وأنها من الأمور الضرورية،فقدم الصائم عليها محبة ربه، فتركها لله في حالة لايطلع عليها إلا الله، وصارت محبته لله مقدمة وقاهرة لكل محبة نفسية، وطلب رضاه وثوابه مقدما على تحصيل الأغراض النفسية، فلهذا اختصه الله لنفسه، وجعل ثواب الصائم عنده، فما ظنك بأجر وجزاء تكفل به الرحمن الرحيم الكريم المنان، الذين عمت مواهبه جميع الموجودات وخص أولياءه منها بالحظ الأوفر، والنصيب الأكمل، وقدر لهم من الأسباب والألطاف التي ينالون بها ماعنده على أمور لاتخطر له بالبال ولاتدور في الخيال، فما ظنك أن يفعل الله بهؤلاء الصائمين المخلصين؟

وهنا يعجز اللسان، ويقف القلم، ويسبح قلب الصائم فرحاً وطرباً بعمل اختصه الله لنفسه، وجعل جزاءه من فضله المحض، وإحسانه الصرف، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ودل الحديث: على أن الصيام الكامل هو الذي يدع العبد فيه شيئين: المفطرات الحسية، من طعام

**وشراب ونكاح وتوابعها.**

**والمنقصات العملية، فلا يرفث ولايصخب، ولايعمل عملا محرماً، ولايتكلم بكلام محرم، بل يجتنب جميع المعاصي، وجميع المخاصمات والمنازعات المحدثة للشحناء، ولهذا قال: (فلا يرفث) أي: لا يتكلم بكلام قبيح.**

**(ولا يصخب) بالكلام المحدث للفتن والمخاصمات، كما قال في الحديث الآخر: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).**

**فمن حقق الأمرين: ترك المفطرات، وترك المنهيات، تم له أجر الصائمين، ومن لم يفعل ذلك فلا يلومن إلا نفسه.**

**ثم أرشد الصائم إذا عرض له أحدٌ يريد مخاصمته ومشاتمته أن يقول له بلسانه: (إني امرؤ صائم).**

**وفائدة ذلك: أنه يقول: اعلم أنه ليس بي عجز عن مقابلتك على ماتقول، ولكني صائم أحترم صيامي وأرعى كماله، وأمر الله ورسوله، وأعلم أن الصيام يدعوني إلى ترك المقابلة، ويحثني على الصبر، فما عملته أنا خير وأعلى مما عملته معي أيها المخاصم.**

**وفيه: العناية بالأعمال كلها من صيام وغيره، ومراعاة تكميلها، والبعد عن جميع المنقصات لها،**

**وتذكر مقتضيات العمل، وما يوجبه على العامل وقت حصول الأسباب الجارحة للعمل.**

**وقوله: (الصيام جنة) أي: وقاية يتقي بها العبد الذنوب في الدنيا، ويتمرن به على الخير، ووقاية من العذاب.**

**فهذا من أعظم حكم الشارع من فوائد الصيام، وذلك لقولـــه تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ {سورة البقرة، ١٨٣}**

**كون الصوم جنة، وسبباً لحصول التقوى: هو مجموع الحكم التي فصلت في حكمة الصيام وفائدته، فإنه يمنع من المحرمات أويخففها، ويحث على كثير من الطاعات.**

**وقوله ρ: (للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه)، هذان ثوابان : عاجل، وآجل.**

**فالعاجل: إذا أفطر الصائم يفرح بنعمة الله عليه بتكميل الصيام، يفرح بنيل شهواته التي منع منها في النهار.**

**والآجل: فرحة عند لقاء ربه برضوانه وكرامته، وهذا الفرح المعجل نموذج ذلك الفرح المؤجل وأن الله سيجمعهما للصائم.**

**وفيه: الإشارة إلى أن الصائم إذا قارب فطره،**

وحصلت له هذه الفرحة، فإنها مقابل مامر عليه في نهاره من مشقة ترك الشهوات، فهي من باب التنشيط، وإنهاض الهمم على الخير.

وقوله: (ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

الخلوف: هو الأثر الذي يكون في الفم من رائحة الجوف عند خلوه من الطعام وتصاعد الأبخرة، فهو وإن كان كريها للنفوس، فلاتحزن أيها الصائم، فإنه "أطيب عند الله من ريح المسك"، فإنه متأثر عن عبادته والتقرب إليه، وكل ما تأثر عن العبادات من المشقات والكريهات فهو محبوب لله، ومحبوب عند المؤمن مقدم على كل شيء...

***

## وقفة مع آية الصيام

**يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ {سورة البقرة، ١٨٣} قال القرطبي رحمه الله: لما ذكر ماكتب على المكلفين من القصاص والوصية ذكر أيضا أنه كتب عليهم الصيام وألزمهم إياه، وأوجبه عليهم ولاخلاف فيه.**

**قال ابن القيم -رحمه الله-: وهو سر بين العبد وربه لايطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، أما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لايطلع عليه بشر، وللصوم تأثير عظيم في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى إذ فيه حبس للنفس عن الشهوات، وفطامها من المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقول ماتزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع**

والظمأ من حدتها وثورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها مع حكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، وليسكن كل عضو فيها وكل قوة عن جماحه، ويتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من سائر الأعمال، فإن الصائم لايفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته.

يدل على ذلك قوله ρ: (قال الله: كل عمل ابن آدم له: الحسنة بعشر أمثالها إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أوقاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عن الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه).

ولما كانت مصالح الصوم مشهودة بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده، رحمة بهم وإحساناً إليهم، وحمية لهم وجنة، وكان هدي رسول الله ρ فيه أكمل الهدي، وأعظم تحصيلاً

للمقصود، وأسهله على النفوس.

ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدريج، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي رسول الله ρ وقد صام تسع رمضانات.

وكان من هديه ρ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود مايكون في رمضان، لما يكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة والذكر، والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة بما لايخص غيره من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانا، ليوفر ساعات ليله ونهاره للعبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له: إنك تواصل، فيقول: (لست كهيئتكم إني أبيت -وفي رواية- إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني) أ.هـ..

***

## الصوم جنة

ثبت في الصحيح أن الرسولρ قال: (قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب، فإن سابه أحد أوقاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، أذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه).

قال ابن حجر -رحمه الله-: والجنة بضم الجيم الوقاية والستر، قال صاحب النهاية: معنى كونه جنة أي: يقي صاحبه مايؤذيه من الشهوات.

وقال القرطبي: جنة أي سترة، يعني: بحسب مشروعيته، فينبغي للصائم أن يصونه ممايفسده وينقص ثوابه، وإليه الإشارة بقوله: (فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث.. الحديث).

ويصح أن يراد أنه سترة بحسب فائدته، وهو إضعاف شهوات النفس، وإليه الإشارة بقوله: (يدع شهوته .. الحديث).

ويصح أن يراد أنه سترة بحسب مايحصل من الثواب وتضعيف الحسنات.

وقال عياض في الإكمال: معناه مسترة من

الآثام، أومن النار، أومن جميع ذلك، وبالأخير جزم النووي.

وقال ابن العربي: إنما كان الصوم جنة من النار؛ لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فالحاصل أنه إذا كف نفسه من الشهوات في الدنيا كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة.

وفي رواية أبي عبيد بلفظ: (الصيام جنة مالم يخرقها) زاد الدارمي (بالغيبة) إشارة إلى أن الغيبة تضر بالصيام، وقد حكي عن عائشة، وبه قال الأوزاعي: إن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم.

وأفرط ابن حزم فقال: يبطله كل معصية من متعمد لها ذاكر لصومه سواءً كانت فعلاً أوقولاً، لعموم قوله (فلايرفث ولايجهل) ولقوله (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

والجمهور وإن حملوا النهي على التحريم، إلا أنهم خصوا الفطر بالأكل والشرب والجماع.

وأشار ابن عبدالبر -رحمه الله- إلى ترجيح الصيام على غيره من العبادات فقال: حسبك بكون الصيام جنة من النار فضلاً. وروى النسائي بسند صحيح عن أبي أمامة τ قال: (قلت يارسول الله

مرني بأمر آخذه عنك، قال: (عليك بالصوم فإنه لامثل له)، وفي رواية: (لاعدل له).

والمشهور عند الجمهور ترجيح الصلاة.أ.هـ

قال ابن القيم – رحمه الله-: الصوم جنة من أدواء الروح والقلب والبدن، منافعه تفوت الإحصاء، وله تأثير عجيب من حفظ الصحة، وأذابه الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها، ولاسيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً، وحاجة البدن إليه طبعاً، ثم إن فيه من إراحة القوى والأعضاء مايحفظ عليها قواها.

وفيه خاصية تقتضي إيثاره وهي: تفريحه للقلب عاجلاً وآجلاً، وهو أنفع شيء لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة، وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم، وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية، وإذا راعى الصائم فيه ماينبغي مراعاته طبعاً وشرعاً عظم انتفاع قلبه وبدنه به، وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التي هو مستعد لها، وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه، ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه، وقيامه بمقصود الصوم، وسره وعلته الغائبة، فإن القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب، وباعتبار ذلك الأمر اختص من بين الأعمال بأنه لله سبحانه.

ولما كان وقاية وجنة بين العبد وبين مايؤذي قلبه وبدنه عاجلاً وآجلاً، قال الله تعالى:↓ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون↑ فأحد مقصودي الصيام، الجنة والوقاية، وهي حمية عظيمة النفع، والمقصود الآخر: اجتماع القلب والهم على الله تعالى، وتوفير قوى النفس على محابه وطاعته.

ولما كان الصبر حبس النفس عن إجابة داعي الهوى، وكان هذا حقيقة الصوم، فإنه حبس النفس عن إجابة داعي شهوة الطعام والشراب والجماع، فُسِّر الصبر في قوله تعالى: ↓واستعينوا بالصبر والصلاة↑ أنه الصوم، وسمي رمضان شهر الصبر.

وقال بعض السلف: الصوم نصف الصبر، وذاك أن الصبر حبس النفس عن إجابة الشهوة والغضب، فإن النفس تشتهي الشيء لحصول اللذة بإدراكه، وتغضب لنفرتها من المؤلم لها، والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط، وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، ولكن من تمام الصوم وكماله صبر النفس عن إجابة داعي الأمرين، وقد أشار إلى ذلك النبيρ في الحديث الصحيح وهو قوله: (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يجهل ولا يصخب، فإن أحد سابه أوشاتمه فليقل إني صائم) فأرشد ρ إلى تعديل قوى

الشهوة والغضب، وأن الصائم ينبغي له أن يحتمي من إفسادهما لصومه، فهذه تفسد صومه وهذه تحبط أجره.أ.هـ

وعلى هذا يجب أن يحذر الصائم من كل مايخدش صومه أويؤثر فيه وينقص من أجره من الأقوال والأفعال، فيجتنب الغيبة والنميمة والكذب والغش والخداع وغيرها من زلات اللسان، ويبتعد عن المعاصي وفعل السيئات حسية كانت أومعنوية، فيلتزم بكل فضيلة ومحمود، ويقلع عن كل رذيلة ومذموم، يفعل ما أمر به وحث عليه الشرع، ويرتفع عن كل ماحذر ونهى عنه، وخصوصاً في هذا الشهر العظيم المبارك، لأن الحسنات فيه تضاعف كماً، والسيئات تضاعف كيفاً.

***

## الصيام وتكفير الخطايا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ : (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) أخرجه مسلم.

قال العلامة: ابن سعدي ـرحمه الله- هذا الحديث يدل على عظيم فضل الله وكرمه بتفضيله هذه العبادات الثلاث العظيمة، وأن لها عند الله المنزلة العالية، وثمراتها لاتعد ولاتحصى.

فمن ثمراتها: أن الله جعلها مكملة لدين العبد وإسلامه، وأنها منمية للإيمان، مسقية لشجرته، فإن الله غرس شجرة الإيمان في قلوب المؤمنين بحسب إيمانهم، وقَدَّر من ألطافه وفضله من الواجبات والسنن مايسقي هذه الشجرة وينميها، ويدفع عنها الآفات حتى

تكمل وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وجعلها تنفى عنها الآفات.

فالذنوب ضررها عظيم، وتنقيصها للإيمان معلوم.

فهذه الفرائض الثلاث إذا تجنب العبد كبائر الذنوب غفر الله بها الصغائر والخطيئات. وهي من أعظم مايدخل في قوله تعالى:↓ إن الحسنان يذهبن السيئات ↑{سورة هود، آيه ١١٤} كما أن الله جعل من لطفه تجنب الكبائر سبباً لتكفير الصغائر، قال تعالى: ↓إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً ↑{سورة النساء، آيه ٣١} أما الكبائر فلابد لها من توبةٍ.

وعلم من هذا الحديث: أن كل نص جاء فيه تكفير بعض الأعمال الصالحة للسيئات، فإنما المراد به الصغائر؛ لأن هذه العبادات الكبار إذا كانت لاتكفر بها الكبائر فكيف بما دونها؟

والحديث صريح في أن الذنوب قسمان: كبائر، وصغائر.

وقد كثر كلام الناس في الفرق بين الصغائر والكبائر.

وأحسن ماقيل: أن الكبيرة مارتب عليه حد في الدنيا، أوتوعد عليه بالآخرة أولعن صاحبه، أو رتب عليه غضب ونحوه، والصغائر ماعدا ذلك.

**أو يقال الكبائر: ماكان تحريمه تحريم المقاصد.**
**والصغائر: ماحرم تحريم الوسائل.**
**فالوسائل: كالنظرة المحرمة مع الخلوة بالأجنبية.**
**والكبيرة: نفس الزنا، وكربا الفضل مع ربا النسيئة، ونحو ذلك.. والله أعلم.**

***

## هدي النبي ρ في الصيام

قال ابن القيم ـرحمه اللهـ لما كان المقصود من الصيام: حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية؛ لتستعد لطلب مافيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد؛ بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها مع حكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، وليسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه، وتلجم بلجامه؛ فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من سائر الأعمال، فإن الصائم لايفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها؛ إيثاراً لمحبة الله ومرضاته.

وهو سر بين العبد وربه لايطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل

معبوده؛ فهو أمر لايطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

وللصوم تأثير عظيم في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها.

فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ {البقرة: ١٨٣}.

وقال النبي ρ: (الصوم جنة)، وأمر من اشتدت به شهوة النكاح ولاقدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

والمقصود: أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة؛ شرعه الله لعباده رحمة بهم وإحساناً إليهم، وحمية لهم وجُنة.

وكان هدي رسول الله ρ، فيه أكمل الهدى، وأعظمه تحصيلاً للمقصود، وأسهله على النفوس.

ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها؛ تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة؛ لما توطنت النفوس على التوحيد

والصلاة، وألفت أوامر القرآن. فنقلت إليه بالتدريج.

وكان فرضـــه في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي رسول الله ρ، وقد صام تسع رمضانات.

وفرض أولاً على وجه التخيير بينه، وبين أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، ثم نقل من ذلك التخيير إلى تحتيم الصوم، وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة إذا لم يطيقا الصيام؛ فإنهما يفطران، ويطعمان عن كل يوم مسـكيناً، ورخـص للمـريض والمسـافر؛ أن يفطـرا ويقضيا.

وللحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما كذلك، فإن خافتا على ولديهما زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم؛ فإن فطرهما لم يكن لخوف مرض، وإنما كان مع الصحة؛ فجبر بإطعام المسكين كفطر الصحيح في أول الإسلام.

وكان للصوم رتب ثلاث:

إحداها: إيجابه بوصف التخيير.

والثانية: تحتيمه؛ لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم؛ حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة. فنسخ ذلك.

بالرتبة الثالثة: وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة.

وكان من هديه ρ، في شهر رمضان؛ الإكثار من

أنواع العبادات، فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان. وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

وكان أجود الناس، وأجود مايكون في رمضان؛ لما يكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف.

وكان يخص رمضان من العبادة بما لايخص غيره به من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانا؛ ليوفر ساعات ليله ونهاره للعبادة.

وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له: إنك تواصل فيقول: (لست كهيئتكم إني أبيتُ –وفي رواية: إني أظلً- عند ربي يُطعمني ويسقيني).

وقد اختلف الناس في هذا الطعام والشراب المذكورين على قولين:

أحدهما: أنه طعام وشراب حسي للفم، قالوا: وهذه حقيقة اللفظ. ولا موجب للعدول عنها.

الثاني: أن المراد به: مايغذيه الله به من معارفه، ومايفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه، وتنعمه بحبه والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح، وقرة العين، وبهجة النفوس والروح والقلب؛ بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه.

والصوم جنة من أدواء الروح والقلب والبدن، منافعه تفوت الإحصاء. وله تأثير عجيب في حفظ الصحة، وإذابة الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها؛ ولاسيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً، وحاجة البدن إليه طبعاً، ثم إن فيه من إراحة القوى والأعضاء؛ مايحفظ عليها قواها.

وفيه خاصية تقتضي إيثاره، وهي: تفريحه للقلب عاجلاً وآجلاً.

وهو أنفع شيء لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة. وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم.

وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية. وإذا راعى الصائم فيه ماينبغي مراعاته طبعاً وشرعاً عظم انتفاع قلبه وبدنه به، وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التي هو مستعد لها، وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه، ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه، وقيامه بمقصود الصوم، وسره وعلته الغائبة، فإن القصد منه أمر آخر، وراء ترك الطعام والشراب، وباعتبار ذلك الأمر اختص من بين الأعمال بأنه لله سبحانه.

ولما كان وقاية وجنة بين العبد، وبين مايؤذي قلبه وبدنه عاجلاً وآجلاً؛ قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

**لعلكم تتقون} {البقرة:١٨٣}.**

**فأحد مقصودي الصيام؛ الجنة والوقاية، وهي حمية عظيمة النفع.**

**والمقصود الآخر: اجتماع القلب والهم على الله تعالى، وتوفير قوى النفس على محابه وطاعته.أ.هـ**

***

## الصيام والصبر

قال النبي ρ: لمن سأله عن أفضل الأعمال: (عليك بالصوم فإنه لاعدل له) ولما كان الصبر: حبس النفس عن إجابة داعي الهوى، وكان هذا حقيقة الصوم؛ فإنه حبس النفس عن إجابة داعي شهوة الطعام والشراب والجماع؛ فسر الصبر في قوله تعالى: ↓واستعينوا بالصبر والصلاة↑ {البقرة:٤٥}. أنه الصوم، وسمي رمضان شهر الصبر.

وقال بعض السلف: الصوم نصف الصبر، وذلك أن الصبر: حبس النفس عن إجابة داعي الشهوة والغضب، فإن النفس تشتهي الشيء لحصول اللذة بإدراكه وتغضب لنفرتها من المؤلم لها.

والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط، وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، ولكن من تمام الصوم وكماله صبر النفس عن إجابة داعي الأمرين، وقد أشار إلى ذلك النبي ρ، في الحديث الصحيح وهو قوله: (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يجهل ولايصخب فإن أحد سابه أو شاتمه فليقل إني صائم) فأرشد ρ إلى تعديل قوى الشهود والغضب، وأن الصائم ينبغي له أن يحتمي من إفسادهما لصومه، فهذه تفسد صومه وهذه تحبط أجره، كما قال

في الحديث الآخر: (من لم يدع قول الزور والعمل به فلس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

قالوا: ويكفي في فضل الصبر على الشكر قوله تعالى: ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾ {المؤمنون:١١١}. فجعل فوزهم جزاء صبرهم.

وقال تعالى:﴿ والله مع الصابرين ﴾ {البقرة:٢٤٩}.

ولاشيء يعدل معيته لعبده كما قال بعض العارفين: ذهب الصابرون بخير الدنيا والآخرة؛ لأنهم نالوا معية الله.

وقال تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ {الطور:٤٨}. وهذا يتضمن الحراسة والكلاية والحفظ للصابر لحكمه.

وعن أبي سعيد τ قال: قال رسول اللهρ: (ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر) متفق عليه.

قال العلامة ابن سعدي –رحمه الله- هذا الحديث اشتمل على أربع جمل جامعة نافعة.

إحداها: قوله: (ومن يستعفف يُعفه الله).

والثانية: قوله: (ومن يستغن يغنه الله).

وهاتان الجملتان متلازمتان، فإن كمال العبد في إخلاصه لله رغبة ورهبة وتعلقاً به دون المخلوقين، فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الكمال، ويعمل كل سبب يوصله إلى ذلك، حتى يكون عبداً لله حقا حرا من رق المخلوقين.

وذلك بأن يجاهد نفسه على أمرين: انصرافها عن التعلق بالمخلوقين بالاستعفاف عما في أيديهم. فلا يطلبه بمقاله ولابلسان حاله، ولهذا قال ρ لعمر: (ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولاسائل فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسك) فقطع الإشراف في القلب والسؤال باللسان، تعففا وترفعا عن منن الخلق، وعن تعلق القلب بهم سبب قوي لحصول العفة.

وتمام ذلك: أن يجاهد نفسه على الأمر الثاني: وهو الاستغناء بالله، والثقة بكفايته، فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه، وهذا هو المقصود، والأول وسيلة إلى هذا، فإن من استعف عما في أيدي الناس وعما يناله منهم، أوجب له ذلك أن يقوى تعلقه بالله، ورجاؤه وطمعه في فضل الله وإحسانه، ويحسن ظنه

وثقته بربه. والله تعالى عند حسن ظن عبده به إن ظن خيراً فله وإن ظن غيره فله، وكل واحد من الأمرين يمد الآخر فيقويه. فكلما قوى تعلقه بالله ضعف تعلقه بالمخلوقين وبالعكس.

ومن دعاء النبي ρ: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى) فجمع الخير كله في هذا الدعاء.

فالهدى: هو العلم النافع. والتقى: العمل الصالح، وترك المحرمات كلها، هذا صلاح الدين.

وتمام ذلك بصلاح القلب، وطمأنينته بالعفاف عن الخلق، والغنى بالله، ومن كان غنياً بالله فهو الغنى حقاً، وإن قلت حواصله، فليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى القلب، وبالعفاف والغنى تتم للعبد الحياة الطيبة، والنعيم الدنيوي، والقناعة بما آتاه الله.

والثالثة قوله: (ومن يتصبر يصبره الله).

ثم ذكر في الجملة الرابعة: أن الصبر إذا أعطاه الله العبد فهو أفضل العطاء وأوسعه وأعظمه إعانة على الأمور . قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ {سورة البقرة-آية ٤٥} أي: على أموركم كلها.

والصبر كسائر الأخلاق يحتاج إلى مجاهدة للنفس وتمرينها؛ فلهذا قال: (ومن يتصبر) أي: يجاهد نفسه

على الصبر (يصبره الله) ويعينه وإنما كان الصبر أعظم العطايا؛لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته وكل حالة من أحواله يحتاج إلى صبر، فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله، حتى يقوم بها ويؤديها وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسخطها، بل إلى صبر على نعم الله ومحبوبات النفس، فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرح المذموم، بل يشتغل بشكر الله.

فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر. وبالصبر ينال الفلاح، ولهذا ذكر الله أهل الجنة فقال: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾{سورة الرعد-آية٢٣، ٢٤} وكذلك قوله: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾{سورة الفرقان-آية٧٥} فهم نالوا الجنة بنعيمها، وأدركوا المنازل العالية بالصبر، ولكن العبد يسأل الله العافية من الابتلاء الذي لايدري ما عاقبته، ثم إذا ورد عليه فوظيفته الصبر، فالعافية هى المطلوبة بالأصالة في أمور الابتلاء والامتحان، والصبر يؤمر به عند وجود أسبابه ومتعلقاته، والله هو المعين..

وقد وعد الله الصابرين في كتابه وعلى لسان رسوله أموراً عالية جليلة، وعدهم بالإعانة في كل

أمورهم، وأنه معهم بالعناية والتوفيق والتسديد، وأنه يحبهم ويثبت قلوبهم وأقدامهم، ويلقي عليهم السكينة والطمأنينة، ويسهل لهم الطاعات، ويحفظهم من المخالفات، ويتفضل عليهم بالصلوات والرحمة والهداية عند المصيبات، والله يرفعهم إلى أعلى المقامات في الدنيا والآخرة.

وعدهم النصر، وأن ييسرهم لليسرى ويجنبهم العسرى.

ووعدهم بالسعادة والفلاح والنجاح، وأن يوفيهم أجرهم بغير حساب، وأن يخلف عليهم في الدنيا أكثر مما أخذ منهم من محبوباتهم، وأحسن، يعوضهم عن وقوع المكروهات عوضاً عاجلاً يقابل أضعاف أضعاف ماوقع عليهم من كريهة ومصيبة، وهو في ابتدائه صعب شديد، وفي انتهائه سهل حميد العواقب كماقيل:

والصبر مثل اسمه مر مذاقته
لكن عواقبه أحلى من العسل.أهـ

***

## من فوائد الصيام

إن فرائض الله التي أوجبها على عباده أوندبهم إليها فيها من الفوائد الدينية والدنيوية والأخروية مالايحاط بها، ولايدرك مداها، ولايحس بها ويتمتع بلذاتها وحلاوتها إلا من أداها بإخلاص تام ومتابعة للرسولρ صادقة، وإن من تلك الفرائض والطاعات الصيام الواجب والمتطوع به، ومن الفوائد المترتبة عليه:

أولا: التعبد لله والامتثال لأمره،وإن هذا غاية ماخلق من أجله الثقلان، قال تعالى : ﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فطوبى لمن حقق ذلك، وقصد بعمله طاعة الخالق المالك سبحانه.

ثانياً: صحة الأبدان، وزوال العلل والأمراض، وقد قيل: صوموا تصحوا، وذلك أن معدة الإنسان بحاجة إلى الراحة والمراعاة بين الحين والآخر، لتنشط وتسترد عافيتها، فتؤدي ما أنيط بها بقوة واقتدار، ولايمكن أن يحصل ذلك إلا بالصيام، ويلمح إلى ذلك قوله ρ: ( ماملأ ابن آدم وعاء شرا له من بطنه)، وسؤال لأحد الأطباء المختصين يمنحك الجواب المبين، الذي جاءت به الشريعة قبل ألف وأربعمائة وأربع وعشرين سنة، فالحمد لله رب

العالمين على مامن به على عباده المؤمنين.

ثانياً: الوسطية والاعتدال في الإنفاق والمآكل والمشارب، والابتعاد عن الإسراف والتبذير والتقتير، تحقيقاً لقوله سبحانه:↓ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين↑ وقوله:↓ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما↑.

رابعا: قال ابن رجب، ومنها: كسر النفس، فإن الشبع والري ومباشرة النساء، تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

خامسا: تخلي القلب للفكر والتذكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد يقسي القلب ويعميه، ويحول بين القلب والذكر والفكر، ويستدعي الغفلة، وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رقته، ويزيل قسوته، ويخليه للذكر والفكر، ويدفعه إلى الطاعة، والأعمال المحمودة.

سادسا: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه، بإقداره له على مامنعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام، والنكاح، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص، وحصول المشقة له بذلك، يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج، ومواساته بما يمكن من ذلك.

**سابعا: أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر ثورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبي ρ الصوم وجاء، لقطعه عن شهوة النكاح.**

**ثامنا: أن الصيام يحمل المسلم على فعل الفضائل وترك الرذائل والمحرمات من الأفعال والأقوال حفاظاً على صيامه مما يخدشه وينقصه، قال ابن رجب – رحمه الله-: (واعلم أنه لايتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام، إلا بعد التقرب إليه بترك ماحرم الله عليه في كل حال من الكذب، والظلم، والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم، وأعراضهم، ولهذا قال النبي ρ : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه البخاري.**

**وفي حديث آخر: (ليس الصيام من الطعام والشراب، وإنما الصيام من اللغو والرفث) قال ابن المدني: (على شرط مسلم).**

**تاسعا: الحث على التحلي بالآداب والأخلاق الفاضلة، وترك المراء والجدال والخصام، وكل مذموم من الصفات، دليل ذلك قوله ρ في الحديث القدسي: (فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم) وهذا**

ليس ضعفاً، بل قوة إيمانية ترفع صاحبها عن سفاسف الأمور، ومخاطبة الجاهلين، قال تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ وقال سبحانه: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.

عاشرا: التعود على الصبر، فإن الصيام من الصبر، وقد روي عن النبي ρ أنه قال: (شهر رمضان شهر الصبر) وهذا ظاهر، حيث إن الصيام تجتمع فيه أنواع الصبر الثلاثة.

الحادي عشر: القيام بأداء الواجبات والمأمورات وتكميلها بالنوافل والمسنونات، والابتعاد عن المنهيات وجميع أسباب المعاصي، والمتأمل في واقع المسلمين يرى ذلك واضحاً للعيان، ولكن قد يشذ عن ذلك طوائف منهم فيدخلون تحت قاعدة (النادر لاحكم له) وماذاك إلا لأن شهر الصيام تفتح فيه أبواب الجنان، وتصفد فيه الشياطين كماجاء ذلك في الخبر.

الثاني عشر: تعلم النظام وترتيب الأوقات، واستغلالها بكل نافع مفيد، فالصائم أكثر الناس استفادة من وقته، فمنذ بزوغ الفجر وحتى غروب الشمس وهو في عبادة من صلاة، وقراءة للقرآن، وعمل واجب أو مندوب، وتقوّ على طاعة الله.

الثالث عشر: تقوية نفس المؤمن على الإنفاق والعطاء والصدقة وإعانة المحتاجين، وبذل الندى،

وكف الإذى، والبعد عن الجفاء، والتعرف على أحوال إخوانه وأقربائه وأداء حقوقهم، والتفضل عليهم بمايستطيعه من أمور مادية أومعنوية، ويحسن أن نذكر هنا أن الأقربين أولى بالمعروف كما جاء في كتاب الله حيث يقول: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾،ويقول الرسول ρ: (ابدأ بمن تعول)، ولذلك فإن البداءة في الصلة والبر والإحسان والإعانة تكون بمن يعول الإنسان اتباعاً لما قاله الله سبحانه وأمر به الرسول الكريم ρ.

الرابع عشر: تلاوة القرآن الكريم وتدبره آناء الليل وأطراف النهار، فشهر رمضان هو شهر القرآن قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾وثبت في الصحيح أن جبريل عليه السلام كان يدارس النبيρ القرآن في رمضان، ودارسه إياه في آخر سنة مرتين، والسلف الصالح رحمهم الله ضربوا أروع الأمثلة وأصدقها في الحرص على قراءة القرآن وتعلمه والعمل به وختمه، وخصوصاً في رمضان، حتى إنه ذكر عن بعضهم أنه كان يختم القرآن في يوم، إضافة إلى أنهم كانوا يتركون تعلم العلم ومدارسة الحديث من أجل العناية بكتاب الله.

الخامس عشر: التعود على قيام الليل، ومناجاة

الخالق وذلك من خلال صلاة التراويح وغيرها من النوافل.

السادس عشر: الحرص على أداء الصلاة جماعة مع المسلمين في بيوت الله، ولايخفى على كل مسلم ما للصلاة من منزلة في الإسلام، ومالها من آثار عظيمة دينية ودنيوية وأخروية، وخصوصاً إذا أديت في أوقاتها، وحيث ينادى بها مع جماعة المسلمين، وهذا يدفعنا إلى القول بأن حضور الصلاة جماعة من آكد الوجبات، بل ذهب بعض المحققين من أهل العلم بأن الصلاة لاتقبل من المسلم إلا إذا أداها جماعة مالم يكن هناك عذر يمنعه منها.

قال تعالى: ↓ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ↑ وقال سبحانه: ↓إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون↑.

وأتت السنة بما يدل على وجوب صلاة الجماعة، ويحذر من التهاون فيها والتكاسل عنها، حتى قال ابن مسعود τ :( ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، ولقد رأيتنا ومايتخلف عنهاإلا منافق معلوم النفاق).

فعليك أخي المسلم التأمل في هذه الأدلة القواطع، والحجج والبراهين السواطع، وكن حصيفاً فطناً لما

**ينفعك في دنياك وأخراك، وواصل حرصك على الصلاة بعد رمضان كما أنت في رمضان.**

## الصيام وأثره في حفظ الجوارح

ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

نقل ابن حجر في فتح الباري عن ابن بطال – رحمهما الله- قوله: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه، وهو مثل قولهρ : (من باع الخمر فلينتقص الخنازير) أي: يذبحها، ولم يأمره بذبحها، ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم بائع الخمر.

وأما قوله: (فليس لله حاجة)، فلا مفهوم له، فإن الله لايحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه، فوضع الحاجة موضع الإرادة.

وقال ابن المنير في الحاشية: بل هو كناية عن عدم القبول، كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئاً طلبه منه فلم يقم به: لاحاجة لي بكذا، فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور، وقبول السالم منه، وقريب من هذا قوله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ فإن معناه: لن يصيب رضاه الذي ينشأ عنه القبول.

قال ابن العربي: مقتضى هذا الحديث أن من فعل

ماذكر لايثاب على صيامه.

ومعناه: أن ثواب الصيام لايقوم في الموازنة بإثم الزور وما ذكر منه.

وقال البيضاوي: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من سر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك ينظر الله إليه نظر القبول فقوله: (ليس لله حاجة) مجاز عن عدم القبول، فنفى السبب وأراد المسبب.

واستدل به على أن هذه الأفعال تنقص الصوم؛ لأن الرفث والصخب وقول الزور والعمل به مما علم النهي عنه مطلقاً، والصوم مأمور به مطلقاً.

وفي ذكر هذه المنهيات الثلاثة والتحذير منها تنبيه على أمرين:

أحدهما: زيادة قبحها في الصوم على غيرها.

والثاني: البحث عن سلامة الصوم عنها، وأن سلامته منها صفة كمال فيه، وقوة الكلام تقتضي أن يقبح ذلك لأجل الصوم، فمقتضى ذلك أن الصوم يكمل بالسلامة منها، فإذا لم يسلم عنها نقص.

وهذا يجعلنا نحرص حرصاً تاماً على حفظ صيامنا وجميع طاعاتنا وعبادتنا من كل مايخدشها أويؤثر عليها، وينقص منها من الأقوال والأفعال، فنجتنب

الغيبة والبهتان والتي أصبحت فاكهة مجالس كثير من الناس، فيتتابعون فيها، بل يتفاخرون ويتبارزون في كل ماينميها ويذكيها دون وازع ديني أوعقلي، متجاهلين قول الله تعالى: ↓ولايغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه↑.

فما أقبح العمل وما أشنع الوصف، ويقول الرسولρ مؤكداً خطر هذا الداء وعظيم إثمه: (أتدرون ما الغيبة) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (الغيبة ذكرك أخاك بما يكره) قالوا: يارسول الله: أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: (إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته).

كما يجب علينا أن نحذر من الكذب والغش والخداع والمخادعة وكل عمل مشين يؤثر سلباً على ديننا، ويخدش صيامنا، ومعلوم أن الحسنات تضاعف كما في الأوقات والأماكن الفاضلة، وتزاد كيفا فيها كذلك.

***

## من أحكام الصيام

الصيام تتعلق به أحكام كثيره، ومسائل متنوعة ومتعددة نسوق منها ماذكره ابن القيم –رحمه الله- في زاد المعاد حيث قال:

وأما من أكل في صومه ناسياً فمن قال: (عدم فطره ومضيه في صومه على خلاف القياس) ظن أنه من باب ترك المأمور ناسياً، والقياس: أنه يلزمه الإتيان بما تركه، كما لو أحدث ونسي حتى صلى.

والذين قالوا: ( هو على وفق القياس) حجتهم أقوى؛ لأن قاعدة الشريعة: أن من فعل محظوراً ناسياً فلا إثم عليه، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾{سورة البقرة- آية٢٨٦}.

وثبت عن النبي ρ أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء، وقال: قد فعلت.

وإذا ثبت أنه غير آثم فلم يفعل في صومه محرماً فلم يبطل صومه، وهذا محض القياس؛ فإن العبادة إنما تبطل بفعل محظور أوترك مأمور.

وطرد هذا القياس أن من تكلم في صلاته ناسياً؛ لم تبطل صلاته.

وطرده أيضاً: أن من جامع في إحرامه أوصيامه

ناسياً؛ لم يبطل صيامه ولا إحرامه.

وكذلك من تطيب أولبس أوغطى رأسه أوحلق رأسه أوقلم ظفره ناسياً فلا فدية عليه.

بخلاف قتل الصيد، فإنه من باب ضمان المتلفات فهو كدية القتيل، وأما اللباس والطيب فمن باب الترفه، وكذلك الحلق والتقليم ليس من باب الإتلاف؛ فإنه لاقيمة له في الشرع ولا في العرف.

وطرد هذا القياس: أن من فعل المحلوف عليه ناسياً لم يحنث، سواء حلف بالله أو بالطلاق أو بالعتاق أو غير ذلك؛ لأن القاعدة أن من فعل المنهي عنه ناسياً؛ لم يعد عاصياً، والحنث في الأيمان كالمعصية في الإيمان، فلايعد حانثا من فعل المحلوف عليه ناسياً.

وذكر أحمد أن شاباً سأله فقال: أقبل وأنا صائم؟ قال: (لا) وسأله شيخ: أقبل وأنا صائم؟ قال: (نعم) ثم قال: (إن الشيخ يملك نفسه).

وسألهρ رجل فقال: يارسول الله أكلت وشربت ناسياً وأنا صائم، فقال: (أطعمك الله وسقاك) أخرجه أبوداود.

وعند الدارقطني فيه بإسناد صحيح: (أتم صومك، فإن الله أطعمك وسقاك، ولا قضاء عليك) وكان أول يوم من رمضان.

وسألته ρ عن ذلك امرأة أكلت معه فأمسكت، فقال: (مالك؟) فقالت: كنت صائمة فنسيت، فقال ذو اليدين: الآن بعد ماشبعت؟ فقالρ: (أتمي صومك؛ فإنما هو رزق ساقه الله إليك) أخرجه الإمام أحمد.

وسئل ρ عن الخيط الأبيض والخيط الأسود، فقال: (هو بياض النهار وسواد الليل) أخرجه النسائي.

ونهاهم عن الوصال وواصل، فسألوه عن ذلك، فقال: (إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقيني) متفق عليه.

وسأله ρ رجل فقال: يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب أفأصوم؟ فقال رسول الله ρ (وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم) فقال: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ماتقد من ذنبك وما تأخر، فقال: (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي) أخرجه مسلم.

وسئل ρ عن الصوم في السفر، فقال: (إن شئت صمت وإن شئت أفطرت) .

وسأله ρ حمزة بن عمرو فقال: إني أجد فَّي قوة على الصيام في السفر، فهل علي جناح؟ فقال: (هي رخصة الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه) أخرجهما مسلم.

وكان ρ يفطر قبل أن يصلي، وكان فطره على رطبات؛ إن وجدها، فإن لم يجدها فعلى تمرات، فإن لم يجد فعلى حسوات من ماء.

ويذكر عنه ρ أنه كان يقول عند فطره: (اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم) ولايثبت.

وروي عنه أيضا أنه كان يقول:(اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت) أخرجه أبوداود: عن معاذ بن زهرة، أن النبي ρ، كان يقول ذلك.

وروى عنه، أنه كان يقول إذا أفطر: (ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى) أخرجه أبوداود، من حديث الحسين بن واقد، عن مروان بن سالم المقنع، عن ابن عمر.

ويذكر عنه ρ: (إن للصائم عند فطره دعوة لاترد) أخرجه ابن ماجه.

وصح عنه أنه قال: (إذا أقبل الليل من ههنا، وأدبر النهار من ههنا؛ فقد أفطر الصائم) وفسر بأنه قد أفطر حكما وإن لم ينوه، وبأنه قد دخل وقت فطره، كأصبح وأمسى.

ونهى الصائم عن الرفث والصخب والسباب، وجواب السباب.

وأمره أن يقول لمن سابه: (إني صائم).

فقيل: يقوله بلسانه. وهو أظهر.

وقيل: بقلبه، تذكيراً لنفسه بالصوم.

وقيل: يقوله في الفرض بلسانه، وفي التطوع في نفسه؛ لأنه أبعد عن الرياء.

وسافر رسول الله ρ في رمضان، فصام وأفطر، وخير الصحابة بين الأمرين، وكان يأمرهم بالفطر إذا دنوا من عدوهم ليتقووا على قتاله.

فلو اتفق مثل هذا في الحضر، وكان في الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم، فهل لهم الفطر؟ فيه قولان:

أصحهما دليلاً: أن لهم ذلك. وهو اختيار ابن تيمية، وبه أفتى العساكر الإسلامية لما لقوا العدو بظاهر دمشق.

ولاريب أن الفطر لذلك أولى من الفطر لمجرد السفر، بل إباحة الفطر للمسافر تنبيه على إباحته في هذه الحالة، فإنها أحق بجوازه.

لأن القوة هناك تختص بالمسافر، والقوة هنا: له وللمسلمين،

ولأن مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر.

ولأن المصلحة الحاصلة بالفطر للمجاهد، أعظم من المصلحة بفطر المسافر.

ولأن الله تعالى قال: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من

قوة↑{سورة الأنفال٦٠}.

والفطر عند اللقاء من أعظم أسباب القوة، والنبي ρ قد فسر القوة بالرمي، وهو لايتم ولايحصل به مقصوده إلا بما يقوي ويعين عليه من الفطر، والغذاء.

ولأن النبي ρ، قال للصحابة لما دنوا من عدوهم: (إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم) وكانت رخصة.

ثم نزلوا منزلا آخر فقال: (إنكم مصبحوا عدوكم، والفطر أقوى لكم فأفطروا). فكانت عزمة، فعلل بدنوهم من عدوهم، واحتياجهم إلى القوة التي يلقون بها العدو، وهذا سبب آخر غير السفر، والسفر مستقل بنفسه، ولم يذكره في تعليله، ولا أشار إليه، فالتعليل به اعتبارٌ لما ألغاه الشارع في هذا الفطر الخاص، وإلغاء وصف القوة التي يقاوم بها العدو، واعتبار السفر المجرد إلغاء لما اعتبره الشارع وعلل به.

وبالجملة: فتنبيه الشارع وحكمته؛ يقتضي أن الفطر لأجل الجهاد أولى منه لمجرد السفر، فكيف وقد أشار إلى العلة ونبه عليها، وصرح بحكمها، وعزم عليهم بأن يفطروا لأجلها؟

ويدل عليه؛ مارواه عيسى بن يونس، عن شعبة،

عن عمرو ابن دينار قال: سمعت ابن عمر –رضي الله عنهما- يقول: قال رسول الله ρ لأصحابه يوم فتح مكة: (إنه يوم قتال فأفطروا) تابعه سعيد بن الربيع، عن شعبة، فعلل بالقتال، ورتب عليه الأمر بالفطر بحرف الفاء.

وكل أحد يفهم من هذا اللفظ، أن الفطر لأجل القتال.

وأما إذا تجرد السفر عن الجهاد: فكان رسول الله ρ يقول في الفطر: (هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه).

وإذا رأى إنساناً يغرق فلا يمكنه تخليصه إلا بأن يفطر، هل يجوز له الفطر؟

أجاب أبو الخطاب: يجوز له الفطر إذا تيقن تخليصه من الغرق، ولم يمكنه الصوم من التخليص.

وأجاب ابن الزاغوني عنها:إذا كان يقدر على تخليصه وغلب على ظنه ذلك لزمه الإفطار وتخليصه.

ولافرق بين أن يفطر بدخول الماء في حلقه وقت السباحة، أوكان يجد من نفسه ضعفاً عن تخليصه لأجل الجوع حتى يأكل؛ لأنه يفطر للسفر المباح؛ فلأن يفطر للواجب أولى.

قلت: أسباب الفطر أربعة: السفر، والمرض، والحيض، والخوف على هلاك من يخشى عليه بصوم كالمرضع والحامل إذا خافتا على ولديهما، ومثله

**مسألة الغريق**

**وأجاز شيخنا ابن تيمية الفطر للتقوي على الجهاد وفعله، وأفتى به لما نازل العدو دمشق في رمضان، فأنكر عليه بعض المتفقهين وقال: ليس هذا سفر طويل، فقال الشيخ: هذا فطر للتقوي على جهاد العدو، وهو أولى من الفطر للسفر يومين، سفراً مباحاً أو معصية، والمسلمون إذا قاتلوا عدوهم وهم صيام لم يمكنهم النكاية فيهم، وربما أضعفهم الصوم عن القتال؛ فاستباح العدو بيضة الإسلام، وهل يشك فقيه أن الفطر ههنا أولى من فطر المسافر؟ وقد أمرهم النبي ρ، في غزوة الفتح بالإفطار ليتقووا على عدوهم، فعلل ذلك للقوة على العدو لا للسفر. والله أعلم.**

**قلت: إذا جاز فطر الحامل والمرضع لخوفهما على ولديهما، وفطر من يخلص الغريق؛ ففطر المقاتلين أولى بالجواز، ومن جعل هذا من المصالح المرسلة فقد غلط؛ بل هذا أمر من : باب قياس الأولى، ومن باب دلالة النص وإيمائه.**

**مسألة: تنازع الناس في كثير من الأحكام، ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، وهذا يدل**

على أنها أعظم النوعين بياناً وأن العناية ببيانها أهم؛ لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد. فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله ρ بياناً شافياً لايقع فيه لبس يوقع الراسخين في العلم.

وآيات الأحكام لايكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس.

وأما آيات الصفات؛ فيشترك في فهم معناها الخاص والعام، أعني فهم أصل المعنى لافهم الكنه والكيفية. ولهذا أشكل على بعض الصحابة قوله تعالى: ↓حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود↑. حتى بين لهم بقوله: ↓من الفجر↑{البقرة: ١٨٧}. ولم يشكل عليه ولا على غيره قوله: ↓وإذا سألك عبادي عني فإني قريب↑الآية{البقرة: ١٨٦}. وغيرها من آيات الصفات.

وأيضاً فإن آيات الأحكام؛ مجملة عرف بيانها بالسنة كقوله تعالى : ↓ففدية من صيام أوصدقة أو نسك↑{البقرة: ١٩٦}. فهذا مجمل في قدر الصيام والإطعام، فبينت السنة بأنه:صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أوذبح شاة.

ونظائره كثيرة: كآية السرقة وآية الصلاة والزكاة والحج. وليس في آيات الصفات وأحاديثها مجمل يحتاج إلى بيان من خارجها؛ بل بيانها فيها وإن

جاءت السنة بزيادة في البيان والتفصيل.

قال الله تعالى: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم﴾{البقرة: ١٨٧}. فروى شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: هو الولد، وقاله الحكم وعكرمة والحسن البصري والسدي والضحاك.

وأرفع مافيه مارواه محمد بن سعد، عن أبيه: حدثني عمي، عن أبيه: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: هو الولد.

وقال ابن زيد: هو الجماع، وقال قتادة: ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم.

وعن ابن عباس رواية أخرى، قال: ليلة القدر.

والتحقيق أن يقال: لما خفف الله عن الأمة بإباحة الجماع ليلة الصوم إلى طلوع الفجر، وكان المجامع يغلب عليه حكم الشهوة وقضاء الوطر حتى لا يخطر بقلبه غير ذلك؛ أرشدهم سبحانه إلى أن يطلبوا رضاه في مثل هذه اللذة، ولا يباشروها بحكم مجرد الشهوة، بل يبتغوا بها ما كتب الله لهم من الأجر والولد الذي يخرج من أصلابهم يعبد الله لايشرك به شيئاً، ويبتغون ما أباح الله لهم من الرخصة بحكم محبته لقبول رخصه، فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته.

ومما كتب لهم ليلة القدر فأمروا أن يبتغوها.

**لكن يبقى أن يقال: فما تعلق ذلك بإباحة مباشرة أزواجهم؟**

**فيقال: فيه إرشاد إلى أن لا يشغلهم ما أبيح لهم من المباشرة؛ عن طلب هذه الليلة التي هي خير من ألف شهر، فكأنه سبحانه يقول: اقضوا وطركم من نسائكم ليلة الصيام، ولايشغلكم ذلك عن ابتغاء ما كتب لكم من هذه الليلة التي فضلكم بها، والله أعلم.**

***

## بركة السحور

عن عائشة رضي الله عنها: أن بلالاً كان يؤذن بليل، فقال رسول اللهρ (كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فإنه لايؤذن حتى يطلع الفجر).

قال القاسم: ولم يكن بين أذانيهما إلا أن يرقى ذا وينزل ذا.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كنت أتسحر مع أهلي، ثم تكون سرعتي أن أدرك السحور مع رسول اللهρ .

وعن أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع النبي ρ ثم قام إلى الصلاة قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ρ(تسحروا فإن في السحور بركة).

قال ابن حجر-رحمه الله- السحور: بفتح السين وبضمها، لأن المراد بالبركة الأجر والثواب فيناسب الضم؛ لأنه مصدر بمعنى التسحر، أو البركة لكونه يقوي على الصوم وينشط له، ويخفف المشقة فيه فيناسب الفتح؛ لأنه مايتسحر به.

وقيل البركة: مايتضمن من الاستيقاظ والدعاء في السحر، والأولى أن البركة في السحور تحصل بجهات

متعددة وهي:

١- اتباع السنة.
٢- مخالفة أهل الكتاب.
٣- التقوي به على العبادة.
٤- الزيادة في النشاط.
٥- مدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع.
٦- التسبب في الصدقة على من يسأل إذ ذاك، أويجتمع معه على الأكل.
٧- التسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة.
٨- تدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام.

وهذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية فإن إقامة السنة يوجب الأجر وزيادته، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم وتيسيره من غير إضرار بالصائم.

وقال ابن دقيق العيد: وقع للمتصوفة في مسألة السحور كلام من جهة اعتبار حكمة الصوم، وهي كسر شهوة البطن والفرج، والسحور قد يباين ذلك.

والصواب: أن يقال:مازاد في المقدار حتى تنعدم هذه الحكمة بالكلية فليس بمستحب، كالذي يصنعه المترفون من التأنق في المأكل وكثرة الاستعداد لها، وماعدا ذلك تختلف مراتبه.

ويحصل السحور بأقل مايتناوله المرء من مأكول

ومشروب فعن أبي سعيد الخدري τ عن النبي ρ قال:(السحور بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين).

ولسعيد بن منصور من طريق مرسلة: (تسحروا ولو بلقمة).

وهنا وقفات:

الأولى: مع الذين يتركون هذه السنة، وتفوتهم تلك البركة، بل قد يتركون ما هو أوجب وأعظم ألا وهي صلاة الفجر التي من صلاها في جماعة هي والعصر دخل الجنة، كما أخبر بذلك الرسول ρ، وذلك بسبب مايفعلون من الأكل في منتصف الليل أوبعده ثم الخلود إلى النوم، وعدم الاهتمام بما يندبون إليه من سحور وذكر ودعاء، وما يلزمهم من صلاة قد تكون خيراً لهم مما طلعت عليه الشمس، فلينتبه أولئك الناس، ويتركوا ما تعودوا عليه، ويحيوا مابهم حياتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

الثانية: مع أولئك الذين حولوا الليل نهاراً والنهار ليلاً وخصوصاً في رمضان، مخالفين نواميس الله في كونه، قال تعالى: ↓وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشا↑ {سورة النبأ،الآية: }، وقال سبحانه: ↓وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا

آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا{سورة الإسراء،الآية: }.

يقول ابن كثير –رحمه الله- يمتن الله تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليسكنوا في الليل، وينتشروا في النهار للمعايش والصناعات، والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام، والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك، ولهذا قال: (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي: في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك.

(ولتعلموا عدد السنين والحساب) فإنه لو كان الزمان كله نسقاً واحداً، وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك، كما قال تعالى: : قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غيرالله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل لتسكنون فيه أفلا تبصرون{سورة القصص، الآيات ٧-٧٣}.

فأين هؤلاء من هذه الآيات العظام، والتوجيهات الربانية، التي لوطبقوها وأخذوا بها، وساروا عليها في حياتهم نوماً ويقظة وحركة وسكوناً لارتفعت

رؤوسهم ورفعوا الرؤوس، وعزوا وأعزوا، وصاروا مصدر فخار وافتخار لأنفسهم وأسرهم ومجتمعهم وأمتهم، وإننانقول وبكل أسف إن هذه الفطرة وهذا الخلق يطبقه غير المسلمين ويعملون به، ولذلك نسمع دائما أن البلد الفلاني لايمكن أن ترى أحداً في الميادين والأسواق بعد الساعة التاسعة مساءً، وماذاك إلا لأنهم خلدوا للنوم مبكرين من أجل أن يستعدوا لأعمالهم وواجباتهم بكل نشاط فيؤدونها خير أداء، ويقومون بها أتم قيام، ولذلك حلوا محل المسلمين في الاختراعات والابتكارات والتقدم والرقي في جميع المجالات الدنيوية مما يحث عليه ديننا، ويأمر به، حتى تقوى الأمة الإسلامية وتصبح مهابة الجانب قوية في دينها ودنياها، فهلا نفضناعنا غبار الكسل، وأزحنا عن أنفسنا ذل الخمول وشمرنا عن سواعدنا، واقتدينا بأسلافنا من الآباء والأجداد، وأصبحنا مثالاً يحتذى، وأنموذجاً يتبع، ومضرباً للمثل ومحطاً للنظر، وخصوصاً في هذا الشهر المبارك، شهر الصبر والصيام والإطعام، وقراءة القرآن والدعاء والمغفرة والرضوان، والعتق من النيران، فنتخلص من تلك العادة الضارة، والأخلاق المذمومة، والأوصاف الممقوتة،والأعمال التي صارت قادحة في كثير منا.

**الثالثة: مع تلك الفئة المتساهلة في وقت الإمساك فتراها تارة تمسك قبل الوقت المقرر شرعاً فيفوت أصحابها ما أمروا به في كتاب الله وعلى لسان رسوله ρ ،قال تعالى: ↓وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ↑{سورة البقرة،الآية: }.**

**وتارة أخرى يتجاوزون هذا الحد فيأكلون ويشربون حتى بعد الأذان، فيكون إمساكهم محل شك، ولذلك فإنه يجب على المسلم أن يكون متوسطاً في ذلك، وأن يتحرى الدقة في إمساكه وفطوره ولايتحقق ذلك إلا بالتمسك بأوامر الشرع واتباعها والسير على هداها.**

***

## تعجيل الإفطار

ثبت في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد τ أن رسول الله ρ قال :(لايزال الناس بخير ماعجلوا الفطر) [كتاب الصوم/ باب تعجيل الأفطار، ٢٣٤/٤ رقم(١٩٥٧).

وفي زيادة لأبي هريرة τعند أبي داود وابن خزيمة وغيرهما: (لأن اليهود والنصارى يؤخرون) [فتح الباري ٢٣٤/٤].

وعن ابن أبي أوفى τ قال: كنت مع النبيρ في سفر، فصام حتى أمسى، فقال لرجل: (انزل فاجدح لي) قال: لو انتظرت حتى تمسي، قال:( انزل فاجدح لي، إذا رأيت الليل قد اقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم) [أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب تعجيل الافطار ١٢٤/٤ رقم (١٩٥٨)].

قال ابن عبدالبر –رحمه الله- أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة.

وعند عبدالرزاق وغيره بإسناد صحيح عن عمرو بن ميمون الأودي قال: كنا أصحاب محمد ρ أسرع الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً [فتح الباري ٢٣٤/٤].

ونقل ابن حجر –رحمه الله- عن المهلب قوله:

والحكمة في ذلك أن لا يزاد في النهار من الليل؛ ولأنه أرفق بالصائم،وأقوى له على العبادة، واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين، وكذا عدل واحد في الأرجح.

قال ابن دقيق العيد: وفي هذا الحديث رد على الشيعة في تأخيرهم الفطر إلى ظهور النجوم، ولعل هذا السبب في وجود الخير بتعجيل الفطر؛ لأن الذي يؤخره يدخل في فعل خلاف السنة.

وقد رد ذلك ابن حجر وبين أن المقصود مخالفة أهل الكتاب.

وقال الشافعي: تعجيل الفطر مستحب، ولايكره تأخيره إلا لمن تعمده ورأى الفضل فيه.

قال ابن حجر –رحمه الله- من البدع المنكرة ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام زعماً ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة، ولايعلم بذلك إلا آحاد الناس، وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لايؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت، زعموا فأخروا الفطر وعجلوا السحور، وخالفوا السنة ولذلك قل عنهم الخير وكثر فيهم الشر، والله المستعان..

وقال ابن القيم – رحمه الله- وكان ρ يفطر قبل أن يصلي، وكان فطره على رطبات إن وجدها، فإن لم يجدها فعلى تمرات، فإن لم يجدها فعلى حسوات من ماء.

ويذكر عنه ρ أنه كان يقول عند فطره: (اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم) ولايثبت.

وروي عنه أيضا أنه كان يقول: (اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت) ذكره أبو داود عن معاذ بن زهرة، أنه بلغه أن النبي ρ كان يقول ذلك.

وروي عنه أنه كان يقول إذا أفطر: (ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر –إن شاء الله-) ذكره أبو داود من حديث الحسين بن واقد عن مروان بن سالم المقنع عن ابن عمر.

وقد وجه شيخنا محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله- ذلك: بأنه يقول ذلك إذا كان في صيف أو حر شديد، وقد حصل له مايستدعي ذلك.

ويذكر عنه ρ: (إن للصائم عند فطره دعوة لاترد) أخرجه ابن ماجه.

***

## فضل الجود وتلاوة القرآن في رمضان

ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ρ أجود الناس، وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ρ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة).

وأخرجه الإمام أحمد وزاد: (ولايسأل شيئا إلا أعطاه).

وللبيهقي عن عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ρ إذا دخل رمضان أطلق كل أسير، وأعطى كل سائل).

والجود هو: سعة العطاء وكثرته، والله تعالى يوصف بالجود، فروى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ρ: (إن الله جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم).

وعن الفضيل: (إن الله تعالى يقول كل ليلة: أنا الجواد ومني الجود، وأنا الكريم ومني الكرم).

فالله سبحانه أجود الأجودين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان، وفيه أنزل قوله

تعالى: ↓وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان، فليستيجبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون↑{سورة البقرة، الآية: ١٨٦}.

ولما كان الله تعالى جبل نبيه ρ على أكمل الهيئات وأشرفها، كما في حديث أبي هريرة τ الذي جاء فيه قولهρ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) كان رسول الله ρ أجود الناس على الإطلاق، كما أنه أفضلهم، وأشجعهم، وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده يجمع أنواع الجود، وكان جوده ρ يتضاعف في رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضاً.

وكان ρ يلتقي هو وجبريل في شهر رمضان، وهو أفضل الملائكة وأكرمهم، ويدارسه القرآن الذي جاء به إليه، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق، وقد كان هذا الكتاب الكريم له ρ خلقاً، بحيث يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ماحث عليه، ويمتنع عما زجر عنه،قال ابن القيم –رحمه الله- ومن منازل ↓ إياك نعبد وإياك نستعين↑ منزلة (الخُلق).

قال الله تعالى لنبيه ρ ↓ وإنك لعلى خلق عظيم↑ قال ابن عباس ومجاهد: لعلى دين عظيم، لادين أحب

إلي ولا أرضى عندي منه وهو دين الإسلام.

وقال الحسن τ: هو آداب القرآن.

وقال قتادة: (هو ماكان يأمر به من أمر الله. وينهى عنه من نهى الله) والمعنى: إنك لعلى الخلق الذي آثرك الله به في القرآن.

وفي الصحيح: أن هشام بن حكيم (سأل عائشة ـ رضي الله عنها- عن خلق رسول الله ρ؟ فقالت: كان خلقه القرآن. فقال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئاً).

وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ↓خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين↑ قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيه ρ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

وقد ذكر: أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ρ لجبريل: (ماهذا؟ قال: لا أدري حتى أسأل، فسأل. ثم رجع إليه، فقال: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك).

فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله في هذا الشهر، لقرب عهده بمخالطة جبريل، وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم، الذي يحث على المكارم والجود، ولاشك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقا من

المخالط.

وفي تضاعف جوده ρ في رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:

منها: شرف الزمان،ومضاعفة أجر العمل فيه، وفي الترمذي عن أنس τ مرفوعا: (أفضل الصدقة صدقة رمضان).

ومنها: إعانة الصائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجورهم، كما أن من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا.

وفي حديث زيد بن خالد عن النبي ρ قال: (من فطر صائماً فله مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء) أخرجه أحمد والترمذي، وأخرجه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها، وزاد: (وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان لصاحب الطعام، مادامت قوة الطعام فيه).

ومنها: أن شهر رمضان يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لاسيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال النبي ρ (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) فمن جادعلى عباد الله، جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل.

**ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما في حديث علي τ عن النبي ρ قال: (إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها) قالوا: لمن هي يارسول الله؟ قال : (لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام).**

**وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن من الصيام والقيام والصدقة، وطيب الكلام، فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث، يقول الرسول ρ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع شرابه وطعامه) ويقول أيضاً: (وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولايصخب، فإن سابه أحد أوقاتله، فليقل: إني امرؤ صائم).**

**والصلاة والصيام والصدقة: توصل صاحبها إلى الله عز وجل،قال بعض السلف: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصيام يوصله إلى باب الملك، والصدقة تأخذ بيده، فتدخله على الملك.**

**وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: (من أصبح منكم اليوم صائما؟**

**قال أبوبكر: أنا.**

**قال : من تبع منكم اليوم جنازة؟**

**قال أبوبكر: أنا.**

قال: من تصدق بصدقة؟
قال أبوبكر: أنا.
قال: من عاد منكم مريضا؟
قال أبوبكر: أنا.
قال: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة).

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم، والمباعدة عنها، خصوصاً إن ضم إلى ذلك قيام الليل، فقد ثبت عن النبي ρ أنه قال: (الصيام جنة أحدكم من النار، كجنته من القتال).

ولأحمد أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً: (الصوم جنة وحصن حصين من النار).

وفي حديث معاذ τ عن النبي ρ أنه قال: (الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وقيام الرجل في جوف الليل). يعني: أنه يطفئ الخطيئة أيضاً، صرح به أحمد.

وفي الصحيح عنه ρ أنه قال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة).

وكان أبو الدرداء τ يقول: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة السر لهول يوم عسير.

ومنها: أن الصيام لابد أن يقع فيه خلل ونقص، وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي أن يتحفظ منه كما في حديث أخرجه ابن حبان، وعامة صيام الناس لايجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي، ولهذا نهي أن يقول الرجل: (صمت رمضان كله، أوقمته كله) فالصدقة تجبر ماكان فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر رمضان إخراج زكاة الفطر، طهرةً للصائم من اللغو والرفث.

ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه، فإذا أعان الصائمين على التقوي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوته لله، وآثر بها وواسى منها، ولهذا يشرع له تفطير الصُّوَام معه إذا أفطر؛ لأن الطعام يكون محبوبا له حينئذ، فيواسي منه حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه، فيكون في ذلك شاكراً لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له، ورده له بعد منعه إياه، فإن هذه النعمة إنما يعرف قدرها عند المنع منها.

وسئل بعض العارفين: لم شرع الصيام؟

فقال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع، وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده.. فمن لم يقدر على درجة الإيثار على نفسه، فلايعجز عن درجة أهل المواساة.

وكان كثير من السلف يواسون من إفطارهم، ويؤثرون ويطووون، فابن عمر يصوم ولايفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم، لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على الطعام أخذ نصيبه من الطعام، وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله مابقي في الجفنة، فيصبح صائماً، ولم يأكل شيئاً.

وجاء سائل إلى الإمام أحمد: فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره، ثم طوى وأصبح صائماً.

وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم، ويجلس يروحهم وهم يأكلون.

وله فوائد أخرى؛ قال الشافعي رحمه الله: أحب للرجل الزيادة بالجود في رمضان اقتداءً برسول الله ρ ، ولحاجة ا لناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم.

ودل الحديث أيضاً على استحباب مدارسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له منه.

وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة ـرضي الله عنهاـ: أنه أخبرها أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه فيه في عام وفاته مرتين.

وفي حديث ابن عباس: أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً.

فدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا﴾{سورة الآية: }

وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾{سورة البقرة، الآية: ١٨٤}.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر.

وقد كان النبي ρ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره.

وأخرج أهل السنن عن أبي ذر τ:(أن رسول الله ρ لما قام بهم إلى ثلث الليل، ومرة إلى نصف الليل قالوا: لونفلتنا بقية ليلتنا؟ فقال: إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته).

فدل على أن قيام ثلث الليل، أونصفه يكتب به قيام ليلة، لكن مع الإمام.

وكان أحمد -رحمه الله- يأخذ بهذا الحديث، ولاينصرف حتى ينصرف الإمام.

وقال بعض السلف: من قام نصف الليل فقد قام الليل.

ومن أراد أن يزيد في القراءة ويطيل، وكان يصلي لنفسه فليطول ما شاء، وكذلك من صلى بجماعة يرضون بصلاته.

وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل عشر، فأين نحن اليوم من هؤلاء القوم الذين أطاعوا ربهم وأخلصوا له وقاموا بحق كتابه، واتبعوا سنة نبيه ρ واستغلوا الأوقات بكل ماينفعهم ويدّخر لهم يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فبعضنا هجر القرآن وغفل عنه، والآخر تساهل وتكاسل فلا يكاد يقرأ أويحفظ إلا نادراً، وقليل من قام بحق كتاب الله حفظاً وتلاوة وتدبراً وعناية رغم تهيء الأسباب وسهولة الوصول إلى ذلك الكتاب قراءة وسماعاً.

***

## آداب قراءة القرآن

إن قراءة القرآن الكريم وحفظه وتدبره، وفهم معانيه مطلوب من المسلم في كل وقت وحين لأنها من أجل القرب وأعظمها وأنفعها، ويزداد أجرها وثوابها في الأوقات والأزمنة الفاضلة كشهر رمضان.

قال في وظائف رمضان: وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى : ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾{سورة البقرة، الآية: ١٨٤}.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾{سورة القدر: الآية: ١}. وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ {سورة : الآية: }.

والنبيρ بدئ بالوحي، ونزل عليه القرآن في شهر رمضان، وقد كان النبي ρ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره، وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان (فقرأ بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، لايمر بآية تخويف إلا وقف وتعوذ، ولا بأية رحمة إلا وقف وسأل، فما صلى ركعتين حتى جاء بلال فآذن بالصلاة) أخرجه الإمام أحمد والنسائي.

وعنه أنه (ماصلى إلا أربع ركعات).

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ρ أجود الناس، وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل،فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ρ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة).

ولاشك أن هديه ρ في قراءة القرآن واستماعه وخشوعه، وبكائه عند قراءته واستماعه، وتحسين صوته به وتوابع ذلك أكمل الهدي وأحسنه، وهو الذي يجب على المسلم أن يعرفه، ليقتدي به، ويسير عليه، وبما أن المسلم سوف يقبل على كتاب الله قراءة وحفظاً وتأملاً في هذا الشهر المبارك مما يجعله في حاجة ماسة إلى معرفة هذا الهدي،فإني سأورده في الأسطر التالية ليكون بين يدي القارئ، فيعطيه البصيرة فيه، والطريقة المثلى، ليزداد الأجر، وتعظم المثوبة.

قال ابن القيم رحمه الله: كان له ρ حزب يقرؤه ولايخل به، وكانت قراءته ترتيلاً، لا هذاً ولاعجلة، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً، وكان يُقَطّع قراءته آية آية، وكان يمد عند حروف المد، فيمد (الرحمن) ويمد

(الرحيم).

وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته، فيقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وربما كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه) وكان تعوذه قبل القراءة، وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره، وأمر عبدالله بن مسعود فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه.

وكان يقرأ القرآن قائماً وقاعداً ومضطجعاً، ومتوضئاً ومحدثاً، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة، وكان ρ يتغنى به، ويرجع صوته به أحيانا، كما رجع يوم الفتح في قراءته: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وحكى عبدالله بن مغفل ترجيعه (آآآ) ثلاث مرات، ذكره البخاري.

وإذا جمعت هذه الأحاديث إلى قوله ρ: (زينوا القرآن بأصواتكم) وقوله: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) وقوله: (ما أذن الله لشئ كإذنه لنبيّ حسن الصوت يتغنى بالقرآن) علمت أن هذا الترجيع منه ρ كان اختياراً ، لا اضطراراً لهز الناقة له، فإن هذا لوكان لأجل هز الناقة لما كان داخلاً تحت الاختيار، فلم يكن عبدالله بن مغفل يحكيه، ويفعله اختياراً ليؤتم به، وهو يرى هز الراحلة له، حتى ينقطع صوته ثم

يقول: (كان يرجع في قراءته) فنسب الترجيع إلى فعله، ولوكان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً.

يقول ابن القيم رحمه الله: وقد استمع النبي ρ ليلة لقراءة أبي موسى الأشعري، فلما أخبره قال: (لوكنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً) أي: حسنته وزينته بصوتي تزييناً.

وأخرج أبوداود في سننه عن عبدالجبار بن الورد قال: (سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبدالله بن أبي زيد: مر بنا أبولبابة فاتبعناه حتى دخل بيته، فإذا رجل رث الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ρ يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن). قال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع).

وكان ρ يقطع قراءته، ويقف عند كل آية، فيقول: (الحمد لله رب العالمين) ويقف (الرحمن الرحيم) ويقف (مالك يوم الدين) ويقف.

وذكر الزهري: أن قراءة رسول الله ρ كانت آية آية، وهذا هو الأفضل، الوقف على رءوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها. وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد، والوقف عند انتهائها، واتباع

هدي النبي ρ وسنته أولى، وممن ذكر ذلك البيهقي في شعب الإيمان وغيره، فإنه يرجح الوقف على رءوس الآي، وإن تعلقت بما بعدها.

وكان ρ يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها، وقام بآية يرددها حتى الصباح.

وقد اختلف الناس في الأفضل من الترتيل وقلة القراءة، أوالسرعة مع كثرة القراءة أيهما أفضل؟

على قولين: فذهب ابن مسعود وابن عباس وغيرهما إلى أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها.

واحتج أرباب هذا القول بأن المقصود من القرآن فهمه وتدبره، والفقه فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معرفة وفهم معانيه، كما قال بعض السلف (نزل القرآن ليعمل به) فاتخذوا تلاوته عملاْ.

ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه: فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم.

قالوا: ولأن الإيمان أفضل الأعمال، وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولاتدبر، فيفعلها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق، كما قال النبي ρ: (ومثل المنافق الذي يقرأ

القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب،وطعمها مر).

والناس في هذا أربع طبقات:

الأولى: أهل القرآن والإيمان، وهم أفضل الناس.

الثانية: من عدم القرآن والإيمان.

الثالثة: من أوتي قرآناً ولم يؤت إيماناً.

الرابعة: من أوتي إيماناً ولم يؤت قرآناً.

قالوا: فكما أن من أوتي إيماناً بلا قرآن أفضل ممن أوتي قرآناً بلا إيمان، فكذلك من أوتي تدبراً وفهماً في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر.

قالوا: وهذا هدي النبي ρ فإنه كان يرتل السورة، حتى تكون أطول من أطول منها، وقام بآية حتى الصباح.

وقال أصحاب الشافعي: كثرة القراءة أفضل، واحتجوا بحديث ابن مسعود τ قال: قال رسول الله ρ:(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) أخرجه الترمذي وصححه.

قالوا: ولأن عثمان بن عفان τ قرأ القرآن في ركعة، وذكروا آثاراً عن كثير من السلف في كثرة القراءة.

والصواب في المسألة أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدراً، وثواب كثرة القراءة أكثر عدداً.

فالأول: كمن تصدق بجوهرة عظيمة، أو أعتق عبداً قيمته نفيسة جداً.

والثاني: كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة.

وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: (سألت أنساً عن قراءة النبي ρ؟ قال: كان يمد مداً).

وقال شعبة: حدثنا أبوجمرة قال: قلت لابن عباس: إني رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أومرتين؟ فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة واحدة أعجب إليَّ من أفعل ذلك الذي تفعله، فإن كنت فاعلاً ولابد، فاقرأ قراءة تسمع أذنيك، ويعيها قلبك.

وقال إبراهيم: قرأ علقمة على ابن مسعود τ، وكان حسن الصوت، قال: (رتل فداك أبي وأمي، فإنه زين القرآن).

وقال ابن مسعود: (لاتهذوا القرآن هذ الشعر، ولاتنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولايكن هم أحدكم آخر السورة).

وقال عبدالله أيضاً: (إذا سمعت الله يقول ﷻيا أيها

الذين آمنوا فأصغ لها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أوشر تصرف عنه).

وكان رسول الله ρ يُسِرُّ بالقرآن في صلاة الليل تارة، ويجهر بها تارة، ويطيل القيام تارة، ويخففه تارة، ويوتر آخر الليل، وهو الأكثر، وأوله تارة، وأوسطه تارة.

وأما التأمل في القرآن: فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لامجرد تلاوته بلا فهم ولاتدبر، قال الله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ {سورة : الآية: }

فليس شئ أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر فيه على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وَتُتلّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، ومايحبه ويبغضه،

وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وطرق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وإذا أردت أن تعلم ماعندك وعند غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم، فإنه من المعلوم أن من أحب حبيباً كان كلامه وحديثه أحب شئ إليه أ.هـ.

***

## وقفات مع العشر الأواخر من رمضان

إن العشر الأواخر من رمضان خصها الله بفضائل ومكارم ليست في غيرها تدفعنا إلى الوقوف معها وقفات تأمل وتوجيه:

الأولى: أن قدوة هذه الأمة وخيرها رسول اللهρ كان يعطيها من الاهتمام ما لا يعطي غيرها، ويفردها بعبادات وطاعات واجتهادات تدل على فضلها وشرفها تقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ρ يجتهد

في العشر الأواخر من رمضان ما لايجتهد في غيرها.

وتقول أيضاً: كان رسول الله ρ إذا دخلت العشر أحيا ليله وأيقظ أهله وشد مئزره.

الثانية: تفردها بكون ليلة القدر إحدى لياليها، هذه الليلة التي قال الله فيها: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ {سورة القدر: الآيات: ١-٤}وقال: ﴿إنا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا﴾{سورة الدخان، الآيتان: ٣،٤}.

ولاشك أن ليلةً وصفها الله بهذه الشمائل والكمائل أنها ليلة موعودة ومشهودة لها من الميزات، والخصائص ما يجعل المسلم يحرص على تحريها، وإخلاص العبادة فيها، والإكثار من كل ما يحبه الرحمن، ويغضب الشيطان، ويقرب إلى الملك الديان، ويبعد عن كل المعاصي والآثام ليتحقق فيه قول سيد الأنام ρ (من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه).

ولِمَ لا يكون ذلك وقد وسمها الله بليلة القدر أي: التي يقدر فيها مايكون في تلك السنة، أوذات الشرف، وأنها خير من ألف شهر أي: ما يعدل أكثر من ثلاث

وثمانين سنة مفرغة للعبادة، وأن الملائكة تنزل فيها بكل أمر بإذن الله، وكونها سلاماً حتى يطلع فجرها.

كما أنها مباركة، ويفرق فيها كل أمر حكيم، ولو لم تختص هذه الليلة إلا بأن الله أنزل فيها كتابه على رسوله ρ لكان وساما لها، وعنوانا على خيريتها وبركتها، فكيف إذا جمعت كل تلك الأوصاف والخلال؟.

وهنا لفتة مهمة ألا وهي: في أي ليلة تكون ليلة القدر؟ والجواب على ذلك: أن العلماء اختلفوا فيها:

فمنهم من قال: أنها تتحرى في ليالي الأفراد من العشر دون تخصيصها بليلة معينة لقوله ρ: (التمسوها في كل وتر)، وقوله: (تحروها في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى.. الحديث).

وجزم آخرون بأنها ليلة السابع والعشرين، بل إن بعض الصحابة أقسم على ذلك.

وهناك من ذهب إلى أنها تتنقل بين ليالي الإفراد فلا تثبت كل عام في ليلة واحدة، وهذا له حظ من النظر، حتى يجتهد المسلم في جميع أيام العشر، ولها علامات تدل عليها، منها ما هو مقارن لها، ومنها ما هو لاحق، ذكرها العلماء في كتبهم.

الثالثة: الاعتكاف الذي هو لزوم المسجد للطاعة طيلة أيام العشر، وهو سنة مؤكدة وقد اعتكف النبي ρ في العشر الأواخر واعتكف نساؤه من بعده، وليعلم

المعتكف أيا كان نوع اعتكافه أنه يلزمه أن يحافظ على اعتكافه، فيفرغ وقته فيه لأداء العبادات والطاعات فرائض كانت أم نوافل، ويحرص على الذكر وقراءة القرآن، ولابأس بقراءة كتب العلم النافع، والتحادث فيما يعود على الإنسان بالنفع والخير، وأن يجتنب كل ما يؤثر على اعتكافه من الأقوال والأفعال صغيرة كانت أو كبيرة، ويبتعد عن إيذاء المصلين والتضييق عليهم في حاجياته وتحركاته وسكناته ومنامه، وأن لا يخرج من معتكفه إلا لحاجة ظاهرة، كقضاء حاجة أو اغتسال، أو أكل إن لم يكن يحضر له فيه.

وهذا فيه تنبيه وبيان لمن جعل الاعتكاف للهو واللعب والمسامرة، والتجمعات والأكل والشرب، والقيل والقال، والتشاجر والتخاصم، والتضييق على الناس والعنف معهم، وعدم التحلي بالآداب والأخلاق الفاضلة، وكأنه يمن بما يعمله وما ألزم نفسه به.

الرابعة: ما يمن به الله على عباده المؤمنين في آخر ليلة من هذا الشهر المبارك الذي هو نهاية العشر بالعتق من النار، مما يدفعهم إلى بذل المزيد من الجهد والاجتهاد في كل ما يقرب إلى الله من الصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن والصدقة وإعانة المحتاجين وإغاثة الملهوفين، ونفع العالمين طمعاً في

الحصول على هذا المرغوب المحبوب.

الخامسة: الإكثار من الدعاء والإلحاح فيه، يقول الرسول ρ: (الدعاء هو العبادة)، ويقول : (لايرد القضاء إلا الدعاء)، ويتأكد الدعاء ويطلب في أوقات الإجابة، والأزمان والأماكن الفاضلة، ومن ذلك ليلة القدر، روت عائشة رضي الله عنها قالت: أفرأيت يارسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول فيها؟ قال: (قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنيّ) فيكثر من هذا الدعاء ومن غيره مما ورد، قال شيخنا الشيخ محمد العثيمين –رحمه الله- (وليعلم أن الأدعية الواردة خير وأكمل وأفضل من الأدعية المسجوعة التي يسجعها الناس ويطيلون فيها).

السادسة: ما يفعله بعض الناس من تخصيص ليلة السابع والعشرين بعمرة، فيظنون أن ليلة القدر للعمرة فيها مزية، ولهذا تجدهم يحرصون على أداء العمرة في تلك الليلة فيأتون من كل مكان ويتكبدون الصعاب والمشاق ويقعون في أخطاء قد تفسد عمرتهم من أجل ذلك، مع ما يسببونه من الازدحام في الحرم والطرقات، وما يحصل منهم من متاعب ومضايقات لإخوانهم المسلمين، وما علموا أن عملهم هذا لا أصل له، وتخصيصهم تلك الليلة بعمرة بدعة؛ لأنه تخصيص لعبادة في زمن لم يخصصه الشارع،

وإنما الذي تُخَصُّ به ليلة القدر هو القيام الذي قال فيه الرسول ρ: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) .

ولم يقل: من اعتمر، بينما قال: (عمرة في رمضان تعدل حجة)، وفي رواية (حجة معي).

السابعة: تأمل في حال ذلك المسكين الغافل أو المتغافل، الجاهل أو المتجاهل،الذي تفوت عليه هذه الفرص والمناسبات، دون أن يرفع بذلك رأساً، أو يحدث توبة، أو استغفاراً وإقبالاً على الله، وانقطاعاً وتركاً للذنوب والمعاصي والمنكرات، فتراه منغمساً فيها وكأنه يعيش أبد الدهر، وما يعلم هذا الغافل أنه إذا أصبح فإنه قد لا يمسي وكذلك العكس فليفق من غفلته، وليصحُ من سكرته فيحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويزن عمله قبل أن يوزن، يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وليبادر إلى الأعمال الصالحة، والتفرغ للعبادة وخصوصاً في هذه الأيام التي تضاعف فيها الحسنات كما، وتضاعف السيئات كيفاً.

***

## هدي النبي ρ في الاعتكاف

تقدم الحديث عن بعض أحكام الاعتكاف وماينبغي للمسلم فيه، وحيث إن لابن القيم ـرحمه اللهـ كلاماً نفيساً فيما يتعلق بفضل الاعتكاف وحكمته وسننه وآدابه فإننا نورد ماقاله في هذه العبادة:

لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى؛ متوقفاً على جمعيته على الله، ولـمّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لايلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام؛ مما يزيده شعثا، ويشتته في كل واد ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، ويضعفه، أويعوقه ويوقفه؛ اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده؛ أن شرع لهم من الصوم مايذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة عن سيره إلى الله تعالى.

وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولايضره، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة.

وشرع لهم الاعتكاف، الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة

به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له ولا ما يفرح به سواه. فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم.

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم؛ شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم، وهو العشر الأخير من رمضان.

ولم ينقل عن النبي ρ أنه اعتكف مفطراً قط، بل قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : (لا اعتكاف إلا بصوم) ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله النبي ρ إلا مع الصوم.

فالقول الراجح الدليل، الذي عليه جمهور السلف؛ أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبوالعباس ابن تيمية قدس الله روحه.

وأما الكلام: فإنه شرع للأمة حبس اللسان عن كل مالاينفع في الآخرة.

وأما فضول المنام: فإنه شرع لهم من قيام الليل؛ ماهو من أفضل السهر وأحمده عاقبة، وهو السهر

المتوسط الذي ينفع القلب والبدن، ولايعوق عن مصلحة العبد.

ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك؛ على هذه الأركان الأربعة، وأسعدهم بها؛ من سلك فيها المنهاج النبوي المحمدي، ولم ينحرف انحراف الغالين، ولاقصر تقصير المفرطين.

وقد ذكرنا هديه ρ في صيامه وقيامه وكلامه. فلنذكر هديه في اعتكافه.

كان ρ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، وتركه مرة فقضاه في شوال.

واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الأوسط، ثم العشر الآخر؛ يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخير؛ فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل.

وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد؛ يخلو فيه بربـــــــه عز وجل.

وكان إذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله، فأمر به مرة فضرب، فأمر أزواجه بأخبيتهن فضربت، فلما صلى الفجر نظر فرأى تلك الأخبية، فأمر بخبائه فقوض.

وترك الاعتكاف في شهر رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال.

وكان ρ، يعتكف كل سنة عشرة أيام، فلما كان في العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً.

وكان يعارضه جبريل بالقرآن كل سنة مرة، فلما كان ذلك العام عارضه به مرتين.

وكان يعرض عليه القرآن أيضاً في كل سنة مرة، فعرض عليه تلك السنة مرتين.

وكان إذا اعتكف دخل قبته وحده.

وكان لايدخل بيته في حال اعتكافه إلا لحاجة الإنسان.

وكان يخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة، فترجله وتغسله وهو في المسجد، وهي حائض.

وكان بعض أزواجه يزوره وهو معتكف، فإذا قامت تذهب: قام معها يقلبها، وكان ذلك ليلا.

ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف، لابقبلة ولاغيرها.

وكان إذا اعتكف طرح له فراشه، ووضع له سريره في معتكفه.

وكان إذا خرج لحاجته مر بالمريض وهو على طريقه، فلا يعرج عليه، ولايسأل عنه.

واعتكف مرة في قبة تركية، وجعل على سدتها حصيراً.

كل هذا تحصيلاً لمقصود الاعتكاف وروحه، عكس

مايفعله الجهال من اتخاذ المعتكف موضع عشرة، ومجلبة للزائرين، وأخذهم بأطراف الأحاديث بينهم. فهذا لون، والاعتكاف النبوي لون. والله الموفق.

***

## زكاة الفطر

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: (فرض رسول الله ρ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير على الذكر والأنثى، والحر والعبد، والكبير والصغير من المسلمين).

وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (فرض رسول الله ρ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات).

وأضاف هذه الزكاة، أو الصدقة إلى الفطر، لأنه سبب وجوبها، والمقصود الفطر من رمضان.

والحكمة من وجوبها ماذكره النبي ρ في قوله: (طهرة للصائم من اللغو والرفث) وشكراً لله عز وجل على إتمام صيام شهر رمضان، وطعمة للمساكين في هذا اليوم الذي هو عيد وفرح وسرور، فإعطاؤهم هذه الصدقة من أجل أن يشاركوا الأغنياء في ذلك.

وتجب على كل مسلم بنفسه، فيخرجها الزوج عن نفسه، والزوجة عن نفسها، وكذلك الأب، والابن والبنت، والأب والأم، ولاتجب على الشخص زكاة من يمونه من زوجة أو أقارب لحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: (فرض رسول اللهρ زكاة الفطر صاعاً من بر أو صاعاً من شعير على الذكر والأنثى، والحر والعبد، والكبير والصغير من المسلمين) .

فهذا يدل على أن زكاة الفطر فرضٌ على المسلم في نفسه.

وكذلك فإن الأصل في الفرض أنه يجب على كل واحد بعينه دون غيره، قال الله تعالى: ﴿ولاتزورا وازرة وزر أخرى﴾ ولو وجبت زكاة الفطر على الشخص بنفسه وعمن يمونه فإنه سوف تزر وازرة وزر أخرى.

أما حديث: (أدوا الفطرة عمن تمونون) فهو حديث ضعيف، ومنقطع فلا يصح الاحتجاج به، لكن لو أخرجها عمن يمونه وبرضاهم فلا بأس بذلك ولاحرج، كما أنه لو قضى إنسان ديناً عن غيره وهو راضٍ بذلك فلا حرج.

وأما زكاة الفطر عن العبد، فإنها تجب على سيده لما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة τ أن رسول اللهρ قال: (ليس على العبد صدقة إلا صدقة

الفطر) فيكون هذا الحديث مخصصاً لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما- فيما يتعلق بزكاة الفطر عن العبد، ولأن العبد مملوك للسيد لايملك فوجب عليه تطهيره.

ويستحب إخراجها عن الجنين إذا نفخت فيه الروح، ولاتنفخ الروح إلا بعد أربعة أشهر، لحديث ابن مسعود τ قال: (حدثنا رسول اللهρ وهو الصادق المصدوق قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسلُ إليه الملك فينفخُ فيه الروح، ثم يؤمر بكتب أربع كلمات رزقُهُ وأجلُهُ وعملُهُ وشقي أو سعيد).

والدليل على استحباب إخراج زكاة الفطر عن الجنين، ماروي عن عثمان τ: أنه أخرج عن الجنين، وهو صاحب سنه متبعة كما قال الرسول ρ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين).

وتجب صدقة الفطر بغروب الشمس ليلة عيد الفطر، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو بيومين فقط، وهذا من باب الرخصة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم فعلوا ذلك: (حيث كانوا يعطونها للذين يقبلونها قبل العيد بيومين).

ومادام أن هذه الرخصة جاءت عن الصحابة رضوان الله عليهم، فهم خير القرون، وعملهم متبع

فتكون هذه المسألة مستثناة من القاعدة التي تقول: (إن تقديم الشيء على سببه ملغى، وتقديم الشيء على شرطه جائز).

وإخراج زكاة الفطر يوم العيد قبل صلاة العيد أفضل، لحديث ابن عمر –رضي الله عنهما- أن النبي ρ أمر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة؛ ولأن المقصود منها إغناء الفقراء في هذا اليوم عن السؤال، ليشاركوا الأغنياء وسائر الناس في فرحة العيد والسرور به؛ وإلا فإن الأصل فيها أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث.

ومن هنا قال أهل العلم: ينبغي أن يؤخر الإمام صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج زكاة الفطر، ويجب أن تصل إلى صاحبها قبل الصلاة، أو إلى وكيله أي: وكيل الفقير، ويجوز أن يوكل من تلزمه الفطرة في قبضها.

والصحيح أنه يحرم إخراج زكاة الفطر بعد صلاة العيد، فإذا أخرها حتى يخرج الناس من الصلاة فقد عمل عملاً ليس من أمر الله ولا رسوله فهو مردود لقوله ρ: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد).

ولحديث ابن عباس - رضي الله عنهما- أن النبي ρ قال: (من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات).

وهذا نص في أنها لا تجزي، وإذا كانت لا تجزئ فإن الإنسان يكون قد ترك فرضاً عليه بالنص الثابت عن رسول اللهρ، فيكون بذلك آثماً، ولاتقبل على أنها زكاة فطر.

وإذا أخرها لعذر كأن يوكل إنساناً في إخراج الزكاة عنه ثم تبين أن وكيله لم يفعل، فهذا يقضيها غير آثم، ولو بعد فوات أيام العيد، وذلك قياساً على الصلاة لقول النبي ρ: (من نام عن صلاة أونسيها فليصليها إذا ذكرها).

وكذلك أيضا لو جاء خبر العيد بغتة، ولم يتمكن من إيصالها إلى الفقير بعد صلاة العيد، فإنه معذور ويقضيها ولايكون آثما، وأيضاً لو جاء العيد وهو في البر مثلاً، وليس عنده أحد يؤديها إليه، ولم يوكل أحداً يخرجها عنه، فهل تسقط عنه لفوات المحل كالذي قطعت يده يسقط عنه غسلها أويقال: إنها تبقى في ذمته؟.

الجواب: الأحوط أن تبقى في ذمته ويخرجها ولوبعد أيام العيد، والاحتمال أن تسقط في هذه الحال قوي؛ لأن المحل غير موجود.

والواجب إخراجه صاعاً بالصاع النبوي، ومقداره كيلوان ونصف، وإن أكمل الثلاثة كان أحوط وأولى.

والصحيح: أن كل ماكان قوتاً من حب وثمر ولحم

ونحوها فهو مجزئ سواءً عدم البر والشعير والتمر والزبيب والإقط، أولم يعدمها لحديث أبي سعيد الخدري τ في صحيح البخاري قال: (كنا نخرجها في عهد رسول الله ρ صاعاً من طعام، وكان طعامنا يومئذ التمر والزبيب والشعير والإقط).

فإذا لم تكن هذه الأنواع أوبعضها قوتاً: فإن الصحيح أنها لا تجزئ وإنما نص عليها في الحديث؛ لأنها كانت طعاماً فيكون ذكرها على سبيل التمثيل لا التعيين.

ولا يجزئ إخراج القيمة؛ لأنها عبادة حددت بنوع معين وهو القوت فلا يعدل عنه إلا بدليل، ولادليل على ذلك، فعلى المسلم أن يحرص على إخراج هذه الزكاة الواجبة عليه عيناً بنفسه، فيعمل على كيلها أو وزنها، وتسليمها لمستحقيها، ليتلذذ بأداء هذه الطاعة، ويستشعر العلة التي من أجلها فرضت عليه، والمتمثلة بتطهيره من اللغو والرفث، وإغناء المساكين والفقراء عن السؤال في يوم عيد وفرح وسرور لجميع المسلمين محققاً بذلك الإخلاص لله سبحانه واتباع سنة رسوله ρ.

***

## صيام التطوع

إن الله سبحانه وتعالى قد شرع لعباده فروضا وألزمهم بها من الصلاة والزكاة والصوم والحج، وهذه طاعات واجبة لامناص للعبد من أدائها، والقيام بها وفق ما شرع الله سبحانه يثاب على فعلها إذا أداها امتثالا لأمر الشارع، كما أنه مستحق للعقوبة إذا تركها، وهذا شأن كل واجب شرعي.

وشرع لنا أيضا سننا وتطوعات ونوافل، تسد نقص الفروض والواجبات وتزيد من الأجور والحسنات، ورغبنا فيها، وحضنا على القيام بها من غير إلزام، فمن قام بها وأداها اقتداء بالرسول ρواحتسابا للثواب من الله سبحانه وتعالى أجر وأثيب على ذلك، ومن تركها فقد حرم نفسه من ذلك الثواب ولا عقوبة عليه، وهذا هو حكم المستحبات والمندوبات الشرعية.

ومما شرعه الرسول ρ من النوافل والسنن صيام التطوع، مبيناً مايترتب عليه من الأجر العظيم، وجعله متفاوتاً في الأشهر والأيام مختلفا في الكيفية والأداء ليدرك المؤمن ما يستطيع منه، فقد لا يستطيع الصوم التطوعي في شهر معين بسبب مرض ونحوه، ويجد الفرصة مهيأة له في شهر آخر، أومناسبة في أخرى، ومن هذه النوافل مايلي:

أولاً: ما حث عليه الرسول ρ من صيام ستة أيام من شهر شوال، مخبراً أن صيامها بعد صيام رمضان يعدل صوم الدهر، فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ρ قال: (من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر) أخرجه مسلم.

وبيان ذلك أن رمضان كما هو معلوم ثلاثون يوما، فإذا أضيف إليها ستة أيام من شوال صارت ستة وثلاثين يوماً، والحسنة بعشر أمثالها فتصبح ثلاثمائة وستين يوما وهذا تمام العام.

ولا يلزم صيام هذه الأيام الستة من شوال بعد عيد الفطر مباشرة، وإنما يجوز في أول الشهر وأوسطه وآخره ويجوز صيامها متتابعة أو متفرقة، فالأمر فيه سعة ولله الحمد والمنة.

ثانياً: ومما سن لنا المصطفى ρ صومه: صوم يوم الاثنين والخميس، حيث كان ρ يتحرى الصوم فيهما، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ρ يتحرى صوم الاثنين والخميس، أخرجه الترمذي وقال:(حديث حسن).

وقد سئل ρ عن صيام يوم الاثنين فأخبر أنه اليوم الذي ولد فيه وأنزل القرآن عليه فيه، مما يدل على تعظيمه ρ لهذا اليوم، فعن أبى قتادة τ أن رسول

الله ρ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال (ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو انزل عليّ فيه) أخرجه مسلم.

ومما يزيد الفضل في صيام هذين اليومين: أنهما يومان تعرض فيهما الأعمال على الله كما أخبر بذلك ρ، فقد روي أبو هريرة τ أن رسول الله ρ قال: (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم) أخرجه الترمذي، وقال (حديث حسن).

ورواه مسلم بغير ذكر الصوم.

ثالثاً: كذلك سن لنا الرسولρ صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فعن أبي هريرة τ قال: أوصاني خليلي ρ بثلاث: (صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام) متفق عليه.

وذكر الإمام النوري رحمه الله تعالى في رياض الصالحين: أن الأفضل صومها في الأيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وقيل: الثاني عشر والثالث عشر، والرابع عشر والصحيح المشهور هو الأول.

ويؤيد هذا الرأي ما رواه أبو ذر τ قال: قال رسول اللهρ ( إذا صمت من الشهر ثلاثا فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة) أخرجه الترمذي؛

وقال: (حديث حسن).

ويؤيده أيضا ما رواه قتادة بن ملحان τ قال: كان رسول الله ρ يأمرنا بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة. أخرجه أبو داود.

ولا يتعين صيام أيام البيض بعينها بل هي الأفضل، وإلا فللمسلم صيام ثلاثة أيام من أول الشهر أو آخره، يعضد هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ρ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم، فقلت من أي الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم.

وقد كان رسول الله ρ شديد المحافظة على صيام أيام البيض سفرا وحضرا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ρ لا يفطر أيام البيض في حضر ولاسفر، أخرجه النسائي بإسناد حسن.

رابعا: ومما يسن صيامه أيضا تسع ذي الحجة فقد حث ρ على الاجتهاد في عشر ذي الحجة، وأخبر أن العمل فيها أحب إلى الله من العمل فيما سواها، والصوم من أجل الأعمال وأفضلها ففعله في هـذه الأيام أولى وأحرى، فعن ابن عباس -رضي الله

عنهما- قال: قال رسول الله ρ (مامن أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام) يعني: أيام العشر قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله، قال: (ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيْ) أخرجه البخاري.

والصوم هنا يختص بالأيام التسعة دون العاشر؛ لأنه يوم العيد –أعني به: عيد النحر- الذي يحرم صيامه.

كما حث الرسول ρ على بذل الجهد والعمل الصالح في هذه العشر بعامة.

خامسا: ماورد عنه ρ من أحاديث تحث المسلمين على صيام يوم عرفه بخاصة، ولاشك أنه ليس كغيره من أيام العشر فصيامه يكفر السنة الماضية والباقية، فعن أبي قتادة τ قال سئل رسول الله ρ عن صوم يوم عرفه قال( يكفر السنة الماضية والباقية) أخرجه مسلم.

وصوم يوم عرفة مسنون لغير الحجاج، أما الحجاج فلا يسن لهم ذلك، بل الأولى عدم الصيام ليتقووا على العمل الصالح، والعبادة من الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن في ذلك المكان الطيب المبارك.

سادساً: ما شرعه الرسول ρ من صيام شهر الله المحرم، مبيناً أنه أفضل الصيام بعد رمضان، فعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) أخرجه مسلم.

سابعاً: صيام يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من شهر محرم الذي صامه الرسول ρ وأمر الناس بصيامه، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ρ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه، متفق عليه.

وصوم يوم عاشوراء مكفر للسنة التي قبله، فعن أبى قتادة τ أن رسول الله ρ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال:( يكفر السنة الماضية) أخرجه مسلم.

ومن أراد صيام يوم عاشوراء فينبغي أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده ولا يصومه منفردا؛ لأن فيه موافقة لليهود؛ ونحن أمرنا بمخالفتهم، كما أخبر ρ أنه إن بقي إلى السنة الآتية ليصومن التاسع مع العاشر فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ρ (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع) أخرجه مسلم.

فالأفضل والأكثر اتباعاً لسنة الرسول ρ أن

**يصوم المرء مع العاشر إما التاسع وإما الحادي عشر.**

**ثامناً: ومن هدي الرسول ρ أنه كان يصوم أياما كثيرة من شهر شعبان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لم يكن النبي ρ يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان إلا قليلا) متفق عليه.**

**تاسعاً: هذا جانب مما يسن صيامه لكل مسلم، ومن كانت لديه قدرة وأراد الزيادة على ذلك فله أن يصوم يوما ويفطر يوما، فقد ثبت عنه ρ قوله: (أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه؛ وكان يصوم يوما ويفطر يوما) متفق عليه.**

**عاشراً: بقي أن أشير إلى أن الرسول ρ قد سن الصيام لكل شاب لم يتزوج، ولا يستطيع القيام بأعباء الزواج فقال ρ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) أخرجه البخاري.**

**ومعنى الباءة: القدرة على الزواج، ومعنى وجاء : أي قاطع للشهوة ومخفف منها.**

***

## صلاة العيد
## وجملة من أحكامها والآداب المتعلقة بها

يقول الله تبارك وتعالى:﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون﴾ وذلك بعد أن ذكر الآيات المتعلقة بالصيام وأحكامه، فدل هذا على وجود أحوال وحكم وفوائد تؤخذ من هذه الآية:

أولها: أنه لابد من إتمام الصيام، ويكون برؤية هلال شهر شوال، أو إكمال شهر رمضان ثلاثين يوماً.

ثانيها: مشروعية التكبير والذي يبدأ بغروب شمس آخر يوم من رمضان ويستمر إلى دخول الإمام لصلاة العيد وشروعه فيها.

وصفة هذا التكبير أن يقول الإنسان: (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد) يرفع بها الرجال أصواتهم في المساجد والأسواق والمنازل، وبعد الصلوات وفي كل وقت، لما في ذلك من إظهار شعائر الله وتعظيمها.

ثالثها: أن كل ما قام به المسلم من الصيام والقيام والصلاة والصدقات والدعاء وجميع الطاعات، ثم ما يعقب ذلك من التكبير، وإخراج زكاة الفطر، وأداء صلاة العيد هو من أسباب الشكر لله، الذي يثمر

السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ولذلك قال سبحانه في سورة الأعلى: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾.

رابعها: لما قدم الرسول ρ المدينة وجد للأنصار عيدين يلعبون فيهما فقال: (إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما عيد الفطر وعيد الأضحى).

فجعل الله عز وجل لهم يوم عيد يفرحون فيه، ويفعلون فيه من السرور واللعب المباح ما يكون فيه إظهار لهذا العيد، وشكر لله عز وجل على هذه النعمة، ولذلك قال رسول الله ρ: (للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه).

وسبب عيد الفطر هو فراغ المسلمين من صوم رمضان.

خامسها: صلاة العيد، إن أعظم مايؤديه المسلم ويقوم به في هذا اليوم المبارك هو أداء صلاة العيد في المصليات المخصصة لها، حيث ذهب العلماء إلى أنها فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقطت عن الباقين، وإن تركوها جميعاً أثموا ويطالبهم بها الإمام.

والقول بأنها واجبة وجوباً عينياً قول قوي جداً، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيميه ـرحمه الله- لحديث أم عطية ـرضي الله عنها- أن النبي ρ (أمر

النساء أن يخرجن لصلاة العيد، حتى إنه أمر الحيض، وذوات الخدور أن يخرجن يشهدن الخير، ودعوة المسلمين، وأمر الحيض أن يعتزلن المصلى).

ولأن النبي ρ واظب عليها، وكذلك خلفاؤه الراشدون، ولم يتخلفوا عنها فدل على تأكد وجوبها.

إضافة إلى ماتمثله من كونها شعيرة من شعائر الدين الظاهرة ولذلك فإن من تخلف عنها ولم يصلها مع المسلمين فإنه يلزمه أن يصليها ولو منفرداً.

سادسها: أن لهذه الصلاة سنناً وآداباً حري بالمسلم أن يتبعها ويقوم بها كما وردت منها:

١- أن لايؤديها إلا بعد أن ترتفع الشمس قيد رمح، ولكن نص العلماء على استحباب تأخير صلاة عيد الفطر، وذلك ليتمكن الناس من إخراج زكاة الفطر في الوقت الفاضل الذي هو من بعد صلاة الصبح إلى بدء صلاة العيد

٢- الخروج لها في المصليات المخصصة خارج البنيان، لفعل النبي ρ وخلفائه الراشدين، ولولا أن هذا أمر مقصود لم يكلفوا أنفسهم ولا الناس أن يخرجوا خارج البلد، لكن لو كان هناك عذر من مطر أو ريح أوخوف ونحوها فإنها تقام في المساجد.

٣- يسن للإنسان أن يأكل قبل أن يخرج إلى صلاة

عيد الفطر اقتداء بالنبي ρ فإنه (كان لايخرج يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وتراً) ، والتمرة الواحدة لاتحصل بها السنة،لأن لفظ الحديث: (حتى يأكل تمرات)، وعلى هذا فلابد من ثلاث فأكثر، وكل إنسان ورغبته فليس مقيداً فله أن يشبع.

وإن أكل سبعاً فحسن؛ لأن النبي ρ قال: (من تصبح بسبع تمرات من العجوة فإنه لايصيبه ذلك اليوم سم ولاسحر).

فسبحان الذي جعلها حماية ووقاية للإنسان، وذهب الشيخ ابن سعدي –رحمه الله- إلى أن ذلك على سبيل التمثيل، وأن المقصود التمر مطلقا، لما جاء في صحيح مسلم من حديث سعد أن النبي ρ قال: (من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي).

٤- يسن تبكير المأمومين إليها، فإذا خرج إليها الإنسان من بعد صلاة الفجر فحسن، والدليل على سنية الخروج بعد صلاة الصبح مايلي:

١) عمل الصحابة-رضي الله عنهم- لأن النبي ρ كان يخرج إلى المصلى إذا طلعت الشمس

ويجد الناس قد حضروا، وهذا يستلزم أن يكونوا قد تقدموا.

٢) ولأن ذلك سبق إلى الخير.

٣) ولأنه إذا وصل إلى المسجد وانتظر الصلاة فإنه لايزال في صلاة.

٤) وكذلك فإنه إذا تقدم يحصل له الدنو من الإمام، وكل هذه العلل مقصودة في الشرع.

وإن خرج من بعد طلوع الشمس إذا كان المسجد قريباً كما لوكانت البلدة صغيرة، والصحراء قريبة، أو المسجد كذلك فلا بأس، وكان ابن عمر –رضي الله عنهما-: (لايخرج إلا إذا طلعت الشمس) لكن مصلى العيد في عهد رسول الله ρ وفي عهد الصحابة –رضي الله عنهم- كان قريباً يمكن للإنسان أن يخرج بعد طلوع الشمس ويدرك الصلاة.

وإن ذهب إليها ماشياً فذلك السنة، وإن شق عليه ذلك لعذر كبعد المسجد، أو مرض، أو مطر، أو نحو ذلك، فلا مانع من استخدام وسائل النقل لذلك، فيخرج إليها راكباً.

٥- يسن أن يخرج على أحسن هيئة، وهذا يشمل الإمام والمأموم، فيغتسل ويتنظف، ويقص شاربه، ويقلم أظفاره، ويلبس أحسن ثيابه،

حتى المعتكف، وذلك إظهاراً للسرور والفرح بهذا اليوم، وتحدثاً بنعمة الله بالفعل؛ لأن الله إذا أنعم على عبده نعمةً يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

٦- ويسن أن يأتي إلى مصلى العيد من طريق ويرجع من طريق آخر، اقتداء بالنبي ρ: (فإنه كان إذا خرج يوم العيد خالف الطريق).

وإظهاراً لهذه الشعيرة في أسواق البلد؛ لأن الناس إذا جاءوا من هذا الطريق زرافات ووحداناً، وهجروا الطريق الثاني لم تتبين هذه العبادة والشعيرة في الطريق الآخر.

ولما يحصل من الجود على الفقراء الذين لم يكونوا في الطريق الأول، وإدخال السرور عليهم؛ لأنه في يوم العيد ينبغي للإنسان أن يوسع على أهله، ويدخل عليهم الفرح والاستبشار، ويبسط لهم في الرزق، وحتى يشهد له الطريقان الأول والثاني؛ ولأن الأرض يوم القيامة تحدث أخبارها، أي: بماعمل عليها من خير وشر.

قال ابن القيم ـرحمه الله- بعد أن أفاض في هذه المسألة وماجاء فيها من خلاف: (وقيل وهو الأصح: إنه لذلك كله، ولغيره من الحكم

التي لايخلو فعله عنها).

٧- أن يستشعر المسلم مناسبة عيد الفطر، وهي أن الناس أدوا فريضة من فرائض الإسلام، وهي الصيام فجعل الله لهم يوماً يفرحون فيه، ويفعلون فيه من السرور واللعب المباح مايكون فيه إظهار لهذا العيد، وشكر لله عز وجل على هذه النعمة العظيمة والمنة الكريمة، ولكنهم لا يفرحون بأنهم تخلصوا من الصوم، وإنما يفرحون بأنهم تخلصوا بالصوم.

وبين الأمرين فرق: فمن تخلص من الصوم يشعر أن الصوم ثقيل عليه، وأنه فرح بالتخلص منه.

وأما من تخلص به فيفرح بأنه تخلص به من الذنوب؛ لأن من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ماتقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتسابا غفر الله له ماتقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه، فالموفق يفرح بعيد الفطر؛ لأنه تخلص بالصوم من الذنوب والآثام والخطايا والمعاصي، حيث قد يغفر له جميع ذلك، والغافل يفرح بعيد الفطر؛ لأنه تخلص به من الصوم الذي يجد فيه العناء والمشقة،

**والمنـــع مـــن الشـــهوات والملـــذات الحســـية والمعنوية وفرق بين الفرحتين.**

***

# فهرس المصادر والمراجع

## ثبت المصادر والمراجع


١- كتاب الله الكريم .

٢- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار ، تأليف العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله-، إشراف : لجنة التحقيق بدار الفتح، دار الفتح –الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان؛للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٥- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)؛ للإمام المحدث أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى .

٦- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ρ وأيامه (صحيح البخاري)؛ للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، راجعه وعني به الشيخ محمد بن علي قطب والشيخ هشام البخاري، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٧- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.
٨- زاد المعاد في هدي خير العباد؛ للإمام ابن قيم الجوزية، بيروت: مؤسسة الرسالة، والكويت: مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٩- سنن أبي داود؛ للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، بيروت: دار الفكر، وحمص: محمد علي السيد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
١٠-الشرح الممتع على زاد المستقنع، لفضيلة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين -رحمه الله- ، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ ، دار الإسلام للنشر والتوزيع، الرياض

١١-صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام يحيى بن زكريا ابن شرف النووي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١٢-الصمت وآداب اللسان للحافظ الإمام أبي بكر عبدالله ابن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي، تحقيق ودراسة: نجم عبدالرحمن خلف،دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١٣-الضوء المنير على التفسير؛ للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، جمع علي الحمد الصالحي، الرياض: مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار الإسلام .
١٤-فتح الباري شرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري؛ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عني به محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب وقصي محب الدين، القاهرة: دار الريان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٥-الفرق بين النصيحة والتعيير؛ للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن رجب

الحنبلي، تحقيق إدارة الأبحاث والنشر بدار الرشاد للنشر والتوزيع، نشر دار الرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٦-لسان العرب المحيط؛ للإمام محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، قدَم له عبدالله العلايلي، بيروت: دار صادر، ودار لسان العرب، ١٤١٠هـ .
١٧-مجموع الفتاوي، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، طبع على نفقة جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز ـرحمه الله- ، أشرف على الطباعة والإخراج المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.
١٨-المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن ابن ناصر السعدي ـرحمه الله- ؛ جمع وإعداد مركز ابن صالح، عنيزة: مركز ابن صالح، البطعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
١٩-مجموعة خطب ومحاضرات للشيخ محمد بن صالح العثيمين ـرحمه الله- .
٢٠-المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبدالله

محمد ابن عبدالله النيسابوري المعروف بالحاكم، تحقيق محمد حجر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢١-مسند الإمام أحمد بن حنبل، لإمام أهل السنة أحمد ابن حنبل الشيباني، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
٢٢-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، إعداد: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١هـ
٢٣-وظائف رمضان، ملخصة من لطائف المعارف للشيخ زين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي -رحمه الله- مع زيادات للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم -رحمه الله- الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٤-نظرات تأصيلية، د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل، الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| حكم الصيام | ٥ |
| تعريف الصيام | ٦ |
| الدروس المستفادة من الصيام | ٧ |
| الكرامات التي أعدها الله للصائمين | ١٨ |
| الصيام: حقيقته وحكمه وفوائده | ٢٥ |
| وقفة مع آية الصيام | ٣٢ |
| الصوم جنة | ٣٦ |
| الصيام وتكفير الخطايا | ٤٢ |
| هدي النبي ρ في الصيام | ٤٥ |
| الصيام والصبر | ٥٢ |
| من فوائد الصيام | ٥٩ |
| الصيام وأثره في حفظ الجوارح | ٦٦ |
| من أحكام الصيام | ٧٠ |
| بركة السحور | ٨٣ |
| تعجيل الإفطار | ٩٠ |
| فضل الجود وتلاوة القرآن في رمضان | ٩٤ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| آداب قراءة القرآن | ١٠٦ |
| وقفات مع العشر الأواخر من رمضان | ١١٦ |
| هدي النبي ρ في الاعتكاف | ١٢٣ |
| زكاة الفطر | ١٢٨ |
| صيام التطوع | ١٣٥ |
| صلاة العيد وجملة من أحكامها والأحكام المتعلقة بها | ١٤٣ |
| فهرس المصادر والمراجع | ١٥٢ |
| فهرس الموضوعات | ١٥٩ |